مجلة الصحافة

العدد (23) | السنة السادسة | خريف 2021

التنوع في غرف الأخبار..
البحث عن الرواية الغائبة

معهد
الجزيرة للإعلام

إصدار جديد لمعهد الجزيرة للإعلام

محتويات العدد

4 كيف يؤثر التنوع على القرار التحريري؟
إبراهيم حمودة

10 42 جنسية في إدارة الأخبار تمنح لتغطيات الجزيرة تفردا خاصا
محمد خمايسة (مقابلة مع عاصف حميدي)

16 التنوع في الإعلام الألماني.. «موضة» لإعادة إنتاج خطاب البيض
بشير عمرون

22 ذوو الاحتياجات الخاصة.. «الغائب الكبير» في غرف التحرير
مايا مجذوب

30 التنوع.. صدى صرخة جورج فلويد داخل غرف التحرير
يونس مسكين

38 «التنوع الزائف» في غرف الأخبار الأمريكية
ملاك خليل

44 الصحفية إرين هاينز وسؤال التنوّع والشمول في غرف الأخبار
(ترجم هذا المقال بالتعاون مع نيمان ريبورتس - جامعة هارفارد)

50 الجزيرة في قلب ربع قرن من الجدل
محمد أحداد (مقابلة مع محمد كريشان)

56 الصحفيون الفلسطينيون والرقابة الذاتية
لندا شلش

64 الترجمة الصحفية.. البحث عن أفضل خيانة تحريرية ممكنة
بهاء الدين السيوف

70 الأمن الرقمي للصحفيين.. الوقاية خط الدفاع الأخير
مي شيغينوبو

82 الانتهاكات ضد الصحفيات.. «جرائم» مع سبق الإصرار
أميرة زهرة إيمولودان

88 «438 يوما».. من التحقيق في فساد شركات النفط إلى «سجن شيراتون»
عبد اللطيف حاج محمد

94 حينما يغتال «حماة الفساد» الصحافة المحلية
غابي بيغوري

كتّاب المجلة

إبراهيم حمودة

ناقد وصحفي سوداني، عمل سابقاً في القسم العربي لإذاعة هولندا الدولية، ويعمل حاليا بمنظمة Free Press Unlimited الهولندية.

لندا شلش

صحفية فلسطينية مقيمة في إسطنبول. باحثة مهتمة بدراسات الإعلام والدبلوماسية الرقمية. عملت مراسلة تلفزيونية لتسع سنوات في الضفة الغربية.

محمد خمايسة

صحفي وباحث في أخلاقيات الإعلام، يعمل محررا في معهد الجزيرة الإعلام.

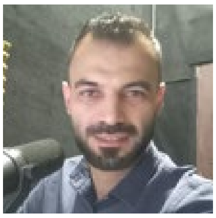

بهاء الدين سيوف

صحفي أردني، درس اللغة الإسبانية وآدابها ويعمل مترجما من الإسبانية إلى العربية. عمل مدققا لغويا في عدة مؤسسات إعلامية.

بشير عمرون

صحفي جزائري مقيم في ألمانيا، يعمل مستقلا في التلفزيون والصحافة المكتوبة.

مي شيغينوبو

صحفية ومعلقة سياسية يابانية وكاتبة متخصصة في وسائل الإعلام، تركز على قضايا الشرق الأوسط والثقافة الإعلامية.

مايا مجذوب

أستاذة صحافة الوسائط المتعددة في الجامعة اللبنانية الأمريكية، إعلاميّة، مؤسِسة التجمع المناهض للفصل العنصري.

أميرة زهرة إيمولودان

صحفية ومنتجة محتوى بشبكة الجزيرة. باحثة في مجال الإعلام الجديد. عملت سابقاً مراسلة في هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي»

يونس مسكين

صحفي وباحث مغربي خريج المعهد العالي للإعلام والاتصال، شغل سابقا منصب مدير نشر صحيفة «أخبار اليوم».

عبد اللطيف حاج محمد

صحفي استقصائي سوري مقيم في السويد، عمل في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، مستكشفاً آثار أزمة اللاجئين والفساد المالي والسياسي والصراعات.

ملاك خليل

صحفية وكاتبة لبنانية تعمل في معهد الجزيرة للإعلام، حاصلة على دبلوم في فنون التواصل من الجامعة اللبنانية الدولية.

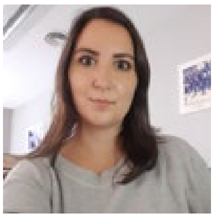

غابي بيغوري

صحفية ومقدمة برنامج تلفزيوني من الأرجنتين. متخصصة في قضايا الصحافة وحقوق الإنسان.

محمد أحداد

صحفي في معهد الجزيرة للإعلام. أصدر كتاب «يد في الماء ويد في النار» حول الصحافة الاستقصائية.

التنوع في غرف التحرير.. رحلة البحث عن التغطية العميقة

كان مشهد مقتل الشاب الأمريكي من أصول أفريقية جورج فلويد تحت أقدام الشرطة مفصليا في إعادة إحياء نقاش التنوع داخل غرف التحرير.

فجأة اكتشفت الصحافة الأمريكية أن تمثيل السود في غرف تحريرها ضئيل ما دفع صحيفة مثل واشنطن بوست إلى توظيف 12 صحفيا بمبرر «تحقيق المساواة وفهم أعمق لقضايا العرق».

لكن تحقيق التنوع في غرف التحرير لم يكن يوما مرتبطا فقط بالعرق، بل بالميولات السياسية، الانتماءات الثقافية والفكرية، التحيزات الأيديولوجية والسن والجنس. وفي عالم عربي موسوم بعمق الاستقطاب السياسي تصبح التعددية في غرف التحرير محل مساءلة.

يكتسب التنوع أهميته في غرف التحرير حين يساعد في فهم أعمق لقضايا المجتمعات المحلية، تفسير السياقات الثقافية والسياسية والإلمام الكافي بحقوق الأقليات. بيد أنه يصبح عبئا حين يؤثر على القرار التحريري بتدخل واع أو غير واع من التحيزات المسبقة.

هل تكفي المعايير المهنية والأخلاقية أو الخط التحريري للمؤسسة لتحصين القصص الصحفية من «تحيزات» التنوع؟

الصحافة مهنة تنتمي إلى حقل العلوم الاجتماعية حيث تمتزج الذات بالموضوع، ومهما كانت المعايير ملزمة، فإن التحيزات المتأتية من التنوع ستبقى، لكن ينبغي استثمارها لضمان التغطية العميقة لقضايا المجتمع والقدرة على الوصول إلى أكبر شبكة من المصادر خاصة من وسائل الإعلام المؤثرة في الرأي العام.

الواضح أن النظر إلى التنوع في غرف الأخبار بعد حادثة مقتل جورج فلويد تحول إلى ما يشبه «الموضة» مدفوعا بنوازع تجارية تسعى لكسب أكبر قدر من المشاهدين دون أن يؤدي ذلك فعليا إلى تحقيق الغاية الأسمى منه: تمثيل المجتمع في غرف التحرير.

مجلة الصحافة

مجلة الصحافة

العدد (23) I السنة السادسة I خريف 2021
مجلة فصلية تصدر عن
معهد الجزيرة للإعلام
شبكة الجزيرة الإعلامية

المشرف العام
منير الدائمي

رئيس التحرير
منتصر مرعي

هيئة التحرير
محمد أحداد
ملاك خليل
محمد خمايسة

مراجعة لغوية
حسين عدوان

تصميم
إدارة الإبداع في شبكة الجزيرة الإعلامية

مجلة الصحافة
Aljazeera Journalism Review

موقع الإنترنت:
http://institute.aljazeera.net/ar/ajr

تويتر:
@AJR_Arabic

فيسبوك:
www.facebook.com/aljazeerajournalismreview

بريد المجلة الإلكتروني:
ajreditor@aljazeera.net

كيف يؤثر التنوع على القرار التحريري؟

إبراهيم حمودة

داخل إذاعة هولندا الدولية، كان ثمة مزيج من الخلفيات السياسية والفكرية والثقافية والعرقية تنتمي إلى بلدان عربية مختلفة. عشرات الصحفيين يشتغلون على قصص في منطقة ملتهبة، وسط محاذير كثيرة، منها الخوف من أي يؤدي هذا التنوع إلى التأثير في القرار التحريري.

ينظر البعض لمهنة الصحافة على أنها مهنة فردية بامتياز، وأن الصحفي كائن مهموم بذاته ومنشغل بفتوحاته ونجاحه الشخصي، ويبدو أنها تخيلات تنقصها المعرفة بمطبخ الصحافة وطبيعة العمل الجماعي الجبار من أجل إخراج مادة صحفية؛ سواء أكانت مكتوبة أو مسموعة أو مرئية.

وسوء الفهم الآخر في مهنة الصحافة يتعلق بالتعددية الثقافية، والجغرافية (إن جاز التعبير)، والمعرفية داخل غرفة التحرير. وهو سوء فهم مهجر من حقل المجتمع والتراث المنتج داخله، الذي يعلي من شأن الوحدة والانسجام بصفتهما منبعين للقوة والكفاءة والجودة.

لكن طبيعة العالم تغيرت، ولم تعد قيم المجتمعات البسيطة الأولى تصلح لإدارة علاقات العمل داخل عالم يتوزع فيه موظفو الشركة الواحدة بين قارات العالم المختلفة، ومع ذلك يعملون ويتواصلون بشكل سلس وفعال من أجل إنجاز مهمتهم وتقديم منتجهم النهائي؛ سواء أكان سلعة أو خدمة.

في منتصف العام 2008 أعادت إذاعة هولندا العالمية خدمة البث باللغة العربية، واختيرت نخبة من الناطقين بها لاستهلال البث الإذاعي. كنا مجموعة متنوعة في خلفياتها الدراسية وفي الانتماء الجغرافي؛ شبابا من العراق، ولبنان، وسوريا، والمغرب، وتونس، والجزائر، وليبيا، والسودان.

بحسب سوء الفهم السائد، أو التصور السلبي الشائع عن روح التعاون بين العرب (على المستوى السياسي تحديدا)، يحق للمرء أن يتصور أن مثل هذا الفريق سيقضي يومه في الخلاف والشجار حول كل شيء فيما يتعلق باتخاذ القرارات داخل هيئة التحرير، خاصة أن مجال الصحافة هو مجال خيارات ووجهات نظر واختلاف في زوايا التناول.

ولكن حين أنظر للخلف لتلك الفترة، أراها من أجمل الفترات في حياتي المهنية من جهة الاستمتاع بالعمل وكَمّ الخبرات والمعرفة التي اكتسبتها من خلال العمل داخل هذا الفريق المتنوع.

لست هنا بصدد امتداح زملائي القدامى بالقسم العربي في إذاعة هولندا الدولية، بل

بتقديم تشريح للعناصر التي كانت تحكم عملنا، والتي أسهمت في تطوير قدراتنا في اتخاذ القرارات وتصريف المهام اليومية للعمل الإذاعي بشكل سلس وفعال.

الوجود في الغرب عموما وفي بلد مثل هولندا خصوصا، يؤثر في الفرد على الصعيدين الخاص والعملي. ذلك أن المباشرة في إبداء الرأي دون المقدمات الطويلة والالتواءات كانت من الخصائص التي لا نعرفها في ثقافة مجتمعاتنا التي ننحدر منها، وقد ننظر للشخص المختلف في طرح وجهة نظره على أنه شخص عدواني أو فظ. استغرق تعلم هذه المهارة بعض الوقت والكثير من قدرة المعايشة وتفهم الآخر؛ بحيث يكون الموضوع مثار النقاش هو الأساس، وتكون العواطف والانفعالات الشخصية المصاحبة أمرا ثانويا قليل الأهمية.

> **لا يجب أن يُنظَر إلى التنوع بصفته مفهوما ثابتا، بل ينبغي النظر إليه على أنه ضرورة لتطوير عمل الفريق وجعله أكثر مهنية ودقة.**

ولأن موضوعنا هو تأثير التنوع على القرار التحريري، أشير إلى أن الأمر لا يتعلق فقط بتنوع الخلفيات الجغرافية والثقافية فحسب، ولكن كذلك بالخلفيات الدراسية والأكاديمية للمجموعة التي تتوزع بين التخصص في اللغة العربية والتاريخ مرورا بالصحافة والمسرح والعلوم السياسية. هذا العامل كان بمثابة مخزون معرفي متكامل استفدنا منه في الإجابة عن الأسئلة الصغيرة والكبيرة التي تواجه الصحفي في عمله اليومي والقرارات الفردية والجماعية التي يتم اتخاذها. إن الاستعانة بزميل يتوفر على خلفية أكاديمية مختلفة يعطيه الإحساس بالأهمية بصفته فردا داخل الفريق، ويعزز الثقة بين الطرفين ويصب في النهاية في صالح تقديم منتج بجودة أعلى. كان يحدث ذلك في الغالب الأعم أثناء الانشغال بعملنا: زميل ضليع في اللغة العربية ومسائل النحو والصرف نستعين به للتدقيق في محتوى

التنوع لا يعني فقط الانتماءات الجغرافية والثقافية وإنما الخلفيات الدراسية والأكاديمية التي تؤثر بشكل أو بآخر في عمل الفريق داخل غرفة التحرير (تصوير: جان كراينندونك - شترستوك).

النصوص قبل إرسالها بشكلها النهائي للنشر، وبمرور الزمن كان هذا الزميل هو السلطة الفعلية المعترف بها بشكل صامت بين الجميع، وتوكل إليه عملية مراجعة النصوص قبل إخراجها في صورتها النهائية. لا يجب أن يُنظَر إلى التنوع بصفته مفهوما ثابتا، بل ينبغي النظر إليه على أنه ضرورة لتطوير عمل الفريق وجعله أكثر مهنية ودقة. هذه التفاصيل الصغيرة التي أتعرض إليها تعود لما يعرف بديناميكا الفريق، التي تحوي مسائل أساسية غير ظاهرة للعيان؛ من مثل الإحساس بالأمان داخل الفريق. الإحساس بالأمان يسمح بارتكاب الأخطاء والتعلم منها ويسمح بتقبل النقد والمبادرة بانتقاد الذات إذا لزم الأمر.

وجود هيئة تحرير متنوعة يسهم، وبشكل يومي، في تمحيص المحتوى وإعادة صياغته بشكل مستمر كي يناسب الشرائح الأعرض من المتابعين.

التنوع مهم، ولكن...

الفريق المتنوع جغرافيا وثقافيا يكون أكثر عرضة للمشاحنات وسوء الفهم المؤجج لها، وما يبطل مفعول مثل هذا التشاحن هو الطبيعة الإدارية الأفقية التي كانت تحكم عملنا بصفتنا فريقا متساويا في الحقوق والواجبات والدرجات الوظيفية، وليست هناك مناصب فرعية يتطلع إليها الشخص؛ هناك فريق، وهناك رئيس للتحرير. توجد الكثير من العوامل المحيطة بعملية الممارسة الصحفية يمكن أن نضعها في خانة البنية التحتية؛ من مثل المكان وطريقة ترتيبه وإمكانية التواصل العفوي بين الزملاء أثناء العمل؛ ففي غرفة تحرير مفتوحة بمساحة معقولة، يمكن لأي مجموعة تحويل النقاش بينها إلى اجتماع عفوي دون التسبب في إزعاج الآخرين. هكذا يكون التنوع مفيدا.

أما فيما يتعلق بالمحتوى الصحفي وعلاقته بالجغرافيا السياسية، فالأمر يخضع باستمرار لنقاشات مستمرة

لن يجدي التنوع في غرف التحرير ما لم يكن مقرونا بالتواصل العفوي بين الزملاء ضمن علاقة أفقية (تصوير: رويترز).

تطرح من خلالها العديد من الأسئلة التي تفتح العديد من الخيارات. لنفترض، مثلا، أن حدثا بعينه وقع في مصر، هل نتركه ليعالج من قبل صحفي مصري، أم أن الأفضل تكليف زميل من بلد آخر لمعالجة الموضوع أو الخبر؟ وهل التوتر بين البلدين يؤثر على خيارات الصحفيين المنتمين لهذين البلدين؟ ثمة توترات أيضا بين الجزائر والمغرب، أو السودان ومصر حول مياه النيل، فهل نعهد لصحفي مصري بتناول هذا الموضوع، أم الأفضل أن نوكل الأمر لصحفي لا علاقة له بالبلدين؟

هذه التساؤلات لا تنفي ولا تطعن في احترافية الصحفي ونزاهته المهنية، ولكن عوامل مثل الانتماء الجغرافي (إلى دولة ما كوحدة سياسية) يمكن أن تلقي بظلالها على المعالجة الصحفية حتى وإن لم يقصد الصحفي ذلك.

هناك أمر آخر يتعلق بالحساسيات في استخدام تسميات أو مصطلحات بعينها، مثلا: هل نستخدم تسمية الصحراء المغربية أم الصحراء الغربية؟ إن وجود صحفي مغربي ضمن الفريق يوفر فرصة جيدة للنقاش حول جذور الحساسيات السياسية المختلفة وإمكانية تلافيها باستخدام التسميات التي لا تثير حفيظة طرف من الأطراف. تنسحب هذه الإشكالات على الترجمات أيضا. في إذاعة هولندا، درج القسم العربي على ترجمة بعض القطع المهمة التي تُنتَج بواسطة هيئات تحرير لغات أخرى داخل الإذاعة مثل الفرنسية، والإسبانية... إلخ. وكما هو معلوم تختلف لغة الترجمة بين المشرق والمغرب الكبير؛ فكلمة "مسطرة" تعني منظومة في المغرب أو مجموعة حسب علمي، وكلمة المخزن تعني المنتسبين للديوان الملكي أو النخبة الحاكمة، فإذا استُخدِمَت في سياق ترجمة ما، قد لا يفهمها المتلقون في أرجاء جغرافية أخرى غير المغرب.

لذلك، فإن وجود هيئة تحرير متنوعة يسهم، وبشكل يومي، في تمحيص المحتوى وإعادة صياغته بشكل مستمر كي يناسب الشرائح الأعرض من الناطقين بالعربية.

حساسية الجغرافيا لا تقتصر على طبيعة الموضوع فقط، ولكن تتعداها إلى مسألة الخيار بشأن معالجة قضية ما أو إهمالها؛ كأن يتم التغافل عن مسألة حقوق الإنسان في مصر بشكل مستمر والتركيز على انتهاكات حقوق الإنسان في السعودية أو الخليج، أو التركيز على الخسائر التي يسببها طيران التحالف في اليمن وتجاهل انتهاكات جيش الحوثي مثلا..

إن احتمال تناول المواضيع بطريقة غير متوازنة وارد جدا، لكن داخل فريق متعدد الجنسيات ومدرك لهذه الحساسيات، يتم تحقيق قدر كبير من التوازن في تناول مختلف القضايا داخل الوطن العربي وخارجه. لكن في المقابل، سيكون الأمر مختلفا تماما، لو أن فريق التحرير تهيمن عليه فئة من الصحفيين تعود خلفيتها لبلد واحد أو إقليم واحد داخل نطاق الوطن العربي.

> **لنفترض، مثلا، أن حدثا بعينه وقع في مصر، هل نتركه ليعالج من قبل صحفي مصري، أم أن الأفضل تكليف زميل من بلد آخر لمعالجة الموضوع؟**

أريد أن أسجل في هذا السياق أن التنوع في غرفة التحرير لا ينحصر فقط في الانتماء الجغرافي، ولكن تلعب الانتماءات السياسية والمذهبية والقناعات الفكرية، أيا كانت، دورها في إثراء التفاعل بين الزملاء وإعطاء بعد أعمق لحواراتهم؛ السني والشيعي يختلفان في خطابهما وطريقة النظر للكثير من القضايا ذات الطابع السياسي والديني، وكذلك الليبرالي والمنتمي للإسلام السياسي يختلفان في طرائق تفكيرهما وتناولهما للقضايا.

بناء عليه، يمكننا القول إن العنصر الأكثر أهمية في عمل فريق متنوع هو العناية بما يعرف بالأثر المرتد (Feedback)، وفتح باب التعليق والحوار حول القصص الخبرية داخل القسم، بحيث يصبح التنوع في التخصص وفي الخبرات وفي الانتماء لبلد ما، عامل إثراء يدعم ويعزز من جودة المادة المنتجة.

قـد تبـدو مسـألة التعليـق وتبادل الآراء حــول المـــواد الصحفيــة المنتجــة مثاليــة بعــض الشــيء؛ ففــي عالــم حقيقــي يغضــب البعــض، ويحــس البعــض الآخــر بالاســتهداف، خاصــة فــي وجــود أصحــاب الــذوات المتضخمــة الذيــن لا يقبلــون أدنــى ملاحظــة حــول أعمالهــم، ولكــن فرصــة تعلــم طــرق جديــدة فــي التواصــل وتربيــة الــذات علــى تقبــل الــرأي الآخــر هي مــن الصفات الأساســية التــي لا يســتطيع أي صحفــي أداء مهنتــه وواجبــه دونهــا.

داخـل الإنسـان هويـات متعـددة؛ مثـل النـوع، أو العمـر، أو المهنـة، أو الهوايـة... إلـخ، ولكـن هويـة المؤسســة تصبــح هــي الأهــم داخـل غرفـة التحريـر.

هــل نخلــص إلــى أن التعدديــة فــي غرفــة التحريــر عامــل حاســم فــي اتخــاذ القــرار التحريــري، أم هــي عامــل إثــراء داخل المؤسســة الصحفيــة المعنيــة؟

الجــواب عــن هــذا الســؤال يســتلزم تأمــل وإدراك أن لحظــة تلاقــي أفــراد وجماعــات ينتمــون لتخصصــات وثقافــات وانتمــاءات إثنيــة مختلفــة، هــي لحظــة الحاجــة للهويــة بصفتهــا عامــل ثبــات وطمأنينــة فــي مواجهــة الآخــر المجهــول. يحــدث هــذا بشــكل عفــوي وفــي ظــروف متباينــة؛ مثــل ظــرف الســكن والرياضــة والدراســة، ووســط جماعــات قــد تصغــر أو تكبــر، أو حتــى بيــن فــرد فــي مواجهــة آخــر.

الانتماءات الجغرافية يمكن أن تلقي بظلالها على المعالجة الصحفية حتى وإن لم يقصد الصحفي ذلك (تصوير: ريبيكا - زامانسكي - شترستوك).

والهوية في فكرتها غير مضيافة كما يقولون، أي إنها وُجدت كي تميز شخصا عن آخر ومجموعة عن أخرى وشعبا عن آخر.

ولحل هذه المعضلة وتوجيهها بحيث تكون عامل قوة وثراء، لا بد من تبني هوية جديدة هي هوية مكان العمل، وهي في هذه الحالة المؤسسة الصحفية التي يشتغل فيها فريق التحرير. للإنسان بالطبع عدة هويات بداخله؛ من مثل هوية النوع، أو العمر، أو المهنة، أو الهواية... إلخ، ولكن هوية المؤسسة تصير هي الأهم في ظرف العمل بحيث تتراجع بقية الهويات أثناء الانشغال بأداء المهنة.

كي يتحقق هذا الانصهار في المؤسسة، يجب أن تتحقق نظم المؤسسة الصحفية وتقاليدها المتوارثة غير المكتوبة، وانسجام معاييرها الأخلاقية والقانونية مع القانون العام والمبادئ الأساسية التي تحفظ حرية الإنسان وكرامته وتصون حقوقه الأساسية.

إذا تحقق هذا الشرط، تتوفر داخل المؤسسة الطمأنينة اللازمة التي تجعل الزملاء يثقون في بعضهم ويتبادلون الآراء في جو صحي شفاف ومفتوح يخلو من الخوف والمحاذير والتخوفات الأخرى غير المنتجة.

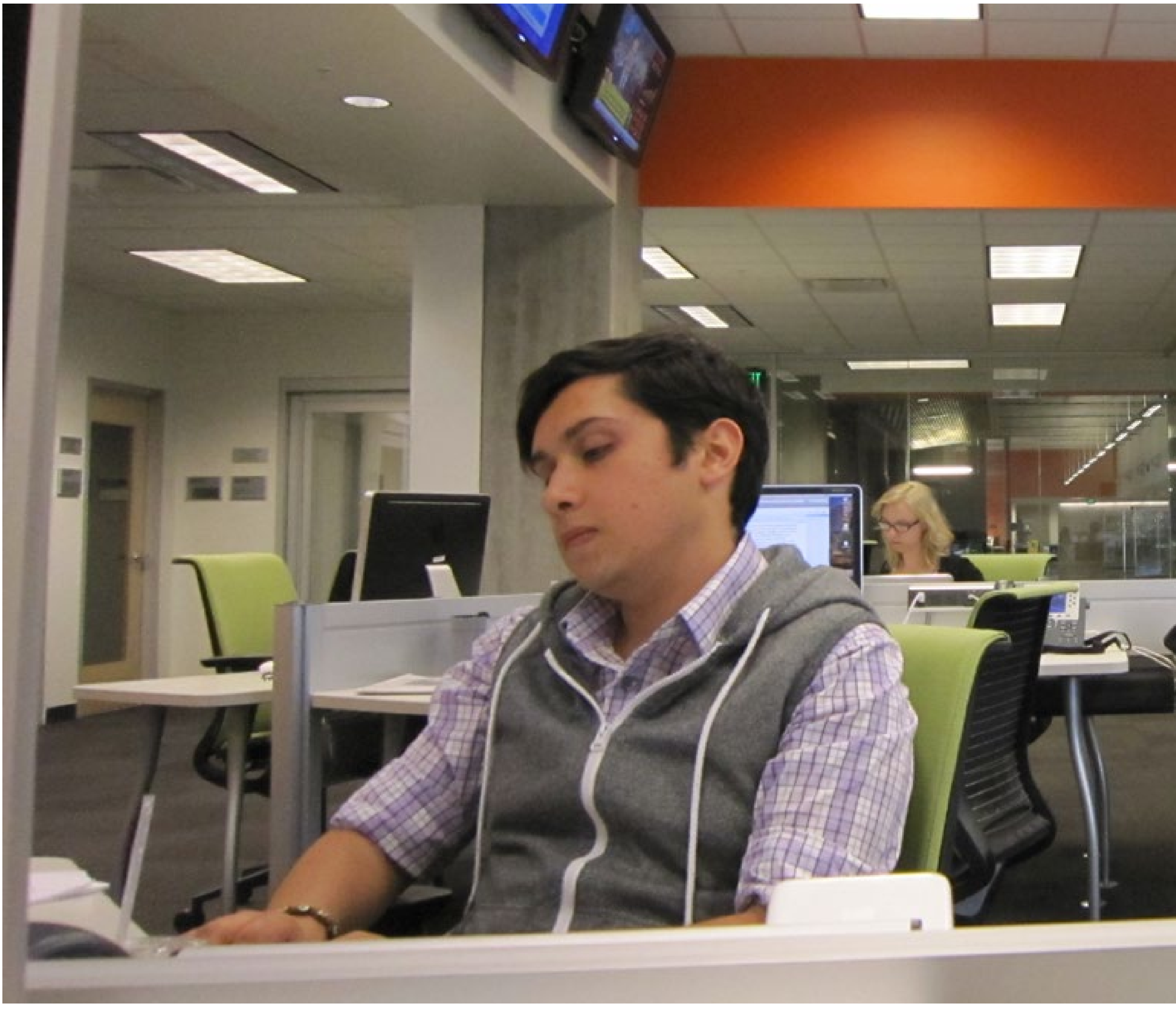

42 جنسية في إدارة الأخبار تمنح لتغطيات الجزيرة تفردا خاصا

محمد خمايسة

يشغل عاصف حميدي منصب مدير غرفة الأخبار بقناة الجزيرة منذ ما يقارب ست سنوات. خلال هذه المسيرة كان يدبر تنوعا جغرافيا، سياسيا، عرقيا، جندريا، وثقافيا فريدا في سبيل تقديم خدمة إخبارية بجودة عالية. هذه الروافد المختلفة داخل غرفة التحرير، جعلت الجزيرة في أحداث كثيرة تحقق سبقا صحفيا مثلما حدث مؤخرا في تغطية سيطرة طالبان على الحكم في أفغانستان. في هذا الحوار يشرح حميدي تأثير التنوع في القرار التحريري وفي تجويد القصص الصحفية داخل أكثر غرف التحرير تأثيرا بالعالم العربي.

على مدى سنوات، استُهلكت أدبيات الصحافة تنظيرا لضرورة تنوع المصادر في صياغة القصص الصحفية، وعن قيمته في خِدمة الموضوعية بشكلها التقني، والمهنية بصفتها ضامنا لحماية الحقيقة من تحيزات المواقف. لكن التنظير لأهمية التنوع بين الصحفيين أنفسهم داخل غرفة الأخبار، لم يحظ بالاهتمام إلا مؤخرا.

ولأن جدلا يدور حول غياب الموضوعية في اجتماعات التحرير؛ حيث يقدم الصحفي مقترحاته للقصص بناء على ما يراه هو مهما لا على معايير موضوعية بحتة، تبرُزُ الحاجة للتنوع في اجتماعات التحرير-غرفة الأخبار، بصفته ضامنا لموضوعية الأجندة الإعلامية ككل، وتنويع زوايا معالجة القصص.

أدركت غرف الأخبار الغربية، خلال السنوات الماضية، تأثير غياب التنوع، وتجلت ضرورة استحضاره داخل غرف الأخبار: جزء منها نظر للقضية بعين تجويد مهنية التغطية، وأخرى سعت لتجميل مظهر غرف أخبارها في وجه موجات الضغط التي شنتها الحركات الحقوقية. بيد أن قناةً تجمَعُ داخل غرفة أخبارها 28 جنسية مختلفة، تجاوزت هذا الحوار الغربي.

داخل إدارة الأخبار في قناة الجزيرة يوجد 42 جنسية، 28 منها في غرفة الأخبار فقط. هكذا يتحدث حميدي عن أهمية التنوع بأشكاله (سياسيا، ثقافيا، جندريا...)، وكيفية تأمينه، وقيمته المهنية، وأين يقف من الأخلاقيات الصحفية، وأفق توظيفه في سبل تغطية أكثر شمولا.

يرى حميدي أنه لا يمكن عزل الصحفي عن تنشئته، وهو الذي يحمل مزيجا من التجارب الأيديولوجية والاشتباكات السياسية مع الشأن العام (الجزيرة).

السياسي والصحفي

لا يمكن عزل الصحفي عن تنشئته، وهو الذي يحمل مزيجا من التجارب الأيديولوجية والاشتباكات السياسية مع الشأن العام. هذه "التَّرِكَة" حملها الصحفي إلى غرفة الأخبار، فكيف يُستفاد منها دون تضارب مع المهنية؟

المهنية عقيدة، يجيب حميدي، تؤثر بالموقف السياسي تأثير الدين في القبيلة، جاء الأول فتخلى الناس عن الأخيرة، وجاءت المهنية لتجُبّ ما قبلها من ميول سياسية وتجعل الصحفي مُكرَّسا لخدمتها فقط. وبرغم أن حميدي لا يلمس وجود ميل متعصب لأي اتجاه سياسي بين الصحفيين في غرفة أخبار الجزيرة، لكنه يدرك استحالة نزع توجهات تراكمت بفعل تجربة امتدت لسنوات؛ "سعي الصحفي للاهتمام بالسياسة، هو ما يمكّنه من أدوات الفهم، ولا يزعجنا وجود ميول سياسية لصحفيين في غرفة الأخبار".

> **المهنية عقيدة تؤثر بالموقف السياسي تأثير الدين في القبيلة، جاء الأول فتخلى الناس عنها، وجاءت المهنية لتجُبّ ما قبلها من ميول سياسية.**

ويرى حميدي أن "ما يطمئن الجزيرة، هو وجود مسطرة مهنية، تتضمن معايير وضوابط تضمن عدم نفاذ الموقف إلى الحرفة، إن ألزَم الصحفي ذاته بها". وهنا، تتاح الفرصة لاستثمار توجهات الصحفي، فيزود غرفة الأخبار بعلاقاته ومصادره التي يستمدها من اهتمامه السياسي، ويوسّع من قاعدة المصادر، فيُثري التغطية لتقف على مسافة واحدة من كل طرف، ولتُمنَح المساحات العادلة في التغطية لكافة المصادر المحتملة.

ما بعد السياسي

لا يقتصر التنوع، حسب حميدي، على السن والجنس والجنسية، بل يؤخذ بعين الاعتبار التنوع العرقي الذي يمكن أن يكون مثريا في الاجتماع التحريري كما على الشاشة.

وجود 28 جنسية في غرفة الأخبار فقط و42 جنسية في إدارة الأخبار أمّن للجزيرة تنوعا ثقافيا وعرقيا، جنّبها عثرات محتملة في تغطيات تستلزم وجود صحفي ملم بخصوصيتها في غرفة الأخبار. فمثلًا، عندما كان الخبر أفغانيا، استعانت الجزيرة بصحفي أفغاني في غرفة الأخبار يتقن العربية، ساعد في جعل التغطية أكثر سرعة ودقّة.

تغطية حدث "استيلاء" حركة طالبان على السلطة، لم تكن لتحقق السبق، لولا امتلاك الجزيرة لمراسل أفغاني يتقن العربية على الأرض. سمح ذلك للجزيرة بأن تنقل اللحظات الأولى لدخول مقاتلي طالبان قصر الرئاسة في كابول لحظة إعلانهم انتهاء فترة حكم الرئيس السابق أشرف غني وعودة الحركة للسلطة، في مشهد لم يخلُ من سريالية وثقّقتها كاميرا الجزيرة، ثم نُقِلَتّ المشاهد على جل وسائل الإعلام العالمية.

ثمة حالة أخرى يتذكرها حميدي، وهي الهجمات التي وقعت في كردستان العراق. الأخبار العاجلة كانت ترد على مواقع التواصل الاجتماعي باللغة الكردية، فكان امتلاك غرفة أخبار الجزيرة لصحفي كردي مسهلا لمهمة متابعة الأخبار بشكل آني، وأمّن فهما أشمل للصورة بشكل سريع، قبل اللجوء لأي مصادر أخرى. بناء على هذه الوقائع، فإن التنوع حسب حميدي دائما "أسهم في تسريع عملية نقل الأخبار وجعلنا أكثر ثقة بمنتوجنا التحريري الذي نقدمه للجمهور".

وسيلة إعلام محلية في كل خبر

يرى حميدي أن فائدة التنوع لا تقتصر على تحقيق السبق أو ضمان توسيع قاعدة التغطية، بل تتعداها لتصير التغطية أكثر قربا من المتأثرين بالحدث: حيرة في لفظ اسم قرية في الجزائر، أو اسم قبيلة

المهنية لا تناقض التنوع شريطة عدم التأثير على قيم النزاهة والتوازن والإنصاف (الجزيرة).

في أفغانستان، تغطية قصة سقطت من الشاشات الأخرى، أو معالجة خالية من سوء فهم السياق المحلي، كلها قضايا تُحلّ بسهولة في حضور التنوع.

تغطية حدث «استيلاء» حركة طالبان على السلطة، لم تكن لتحقق السبق، لولا امتلاك الجزيرة لمراسل أفغاني يتقن العربية على الأرض.

إن تحول الجزيرة من وسيلة إعلام عالمية، إلى قناة محلية في الدول التي تغطي منها، وضع مسؤولية كبيرة عليها؛ فعندما يخرج المراسل السوداني من قلب السودان ليُغطي الأحداث الجارية هناك، فإنه يضفي على التغطية ألفة ومصداقية أكثر للمشاهد، ويضمن لنا المهنية ويبعدنا عن مغبة سوء فهم السياق؛ "يقربنا من المشاهد ويقربه لنا" يقول حميدي.

هل سعت الجزيرة لهذا التنوع؟

يبرز حميدي أن الجزيرة لم تواجه تحدي غياب التنوع في غرف أخبارها لتسعى لتحقيقه؛ فالقناة منذ يومها الأول، ضمت صحفيين من جنسيات وخلفيات سياسية وثقافية وعرقية مختلفة. وتحقيق التنوع، وفق رؤيته، سيكون تحصيل حاصل إن سعت الوسيلة الإعلامية لتوسيع نطاق بحثها عن الصحفيين وضمان فرص متكافئة لهم، شريطة أن يُنظر للصحفيين جميعًا بمعيار المهنية والاحترافية لا غير، ويُقيَّمون وفقه.

توسيع نطاق البحث في الجزيرة كان من خلال السعي للوصول للصحفيين في بلدانهم أو بلدان قريبة منهم، بإجراء امتحانات التوظيف فيها، ولم تجر هذه الامتحانات في الدول العربية فقط، بل تعدتها للوصول إلى دول أوروبا والأمريكيتين للوصول للصحفيين العرب في المهجر كذلك.

عام 2018، عقدت غرفة أخبار الجزيرة حملة توظيف في عدد من التخصصات المطلوبة لديها، وتلقت أكثر من ألفي طلب توظيف من قرابة 40 جنسية. كان المعيار الأساسي للتقييم هو تطابق السيرة الذاتية للمتقدم مع الوظيفة التي تقدم لها.

وخلاصة هذا النهج، المطبّق منذ سنوات، كما وصفه حميدي، تمثّل بحجم التنوع الحالي الذي تشهده القناة، وبضمانة أن يكون جميع مَن في غرفة الأخبار على درجة عالية من الحرفية والمهنية، مهما كانت جنسياتهم.

إلا أن حميدي يرى أن التنوع في الجنسيات ليس هو الضامن الرئيس للمهنية، "هناك وسائل إعلام محلية يكون جميع العاملين فيها من جنسية واحدة، وبرغم ذلك تستطيع تقديم تغطية مهنية ومتوازنة بسبب استنادهم للمعايير المهنية".

تعامل الجمهور العربي مع قناة الجزيرة باعتبارها قناة محلية أضفى على التنوع في غرفة التحرير أهمية خاصة (الجزيرة).

> **تشكل النساء نسبة 28٪ من العاملين في إدارة الأخبار، وهي نسبة حدثت بشكل تلقائي نتيجة المنافسة العادلة على الوظائف.**

التنوع الجندري

تشكل النساء نسبة 28٪ من العاملين في إدارة الأخبار، وهي نسبة يقول حميدي إنها جاءت تلقائيا نتيجة المنافسة العادلة على الوظائف، ولو ارتفعت خلال السنوات القادمة فلن تكون سوى تلقائية كذلك؛ لأن المعيار الوحيد الذي يُنظر له هو الكفاءة والمهنية. ويرى أن هذا الرقم ربما هو انعكاس لواقع الوسط الصحفي العربي؛ "ظروف الحرفة شاقة، وهي أكثر صعوبة على الصحفيات، وهذا ربما يجعلها مهنة منفّرة للنساء".

ويؤكد حميدي أن وجود الصحفيات في اجتماعات التحرير ساعد في تجويد التغطية الصحفية، لا سيما في توسيع زوايا المعالجة والأجندة الإخبارية اليومية، خصوصا في القضايا المتعلقة بالمرأة.

التنوع .. ضمان المهنية

ثمّة قول شائع: "الصحفيون يكتبون المسودة الأولى من التاريخ"، وثمّة مدرسة تاريخية عريقة تسمى المدرسة الوضعانية، تنتهج أسلوب توثيق الروايات من مصادر مختلفة للتحقق من حقيقة الحدث التاريخي. يمكننا تخيّل تحقيق التنوع في المصادر وزوايا المعالجة في القصص الصحفية بصفته عاملا يسهّل عمل المؤرخين مستقبلا لتوثيق هذه الحقبة الزمنية، وهل من سبيل أفضل لتحقيق التنوع في القصة من التنوع في غرف الأخبار؟

تحولت قناة الجزيرة إلى مصدر لوسائل الإعلام العالمية وهي تنقل مشهد دخول حركة طالبان إلى القصر الرئاسي بتغطية من صحفي أفغاني يتحدث العربية ويفهم السياق الثقافي للبلد (الجزيرة).

التنوع في الإعلام الألماني.. «موضة» لإعادة إنتاج خطاب البيض

بشير عمرون

الصحافة الألمانية تحترم التنوع شريطة أن يكون متناغما مع سردية البيض. أما إذا تجرأ أحد على تبني رواية مختلفة داخل غرف التحرير، سيواجه نفس مصير الصحفية الفلسطينية نعمة الحسن التي تعرضت للإعدام المهني على يد اللوبي الصهيوني. إنه تنوع شكلي يكرس هيمنة البيض بتوظيف «شعارات» التمثيل والتنوع والديمقراطية في مجتمع يشكل فيه المهاجرون ربع عدد السكان.

كاد تعيينها مقدمة لبرنامج كووركس Quarks المرموق يحقق قفزة نوعية في طريق تعزيز التنوع العرقي والديني في المشهد الإعلامي الألماني. في شهر أيلول/سبتمبر 2021 أعلنت قناة غرب ألمانيا العمومية WDR عن اختيارها نعمة الحسن لتقدم ابتداء من شهر تشرين الثاني/نوفمبر من العام ذاته هذا البرنامج العلمي الأسبوعي العريق، الذي يحظى بشعبية وثقة كبيرتين في البلاد.

وُلِدت نعمة في ألمانيا لأسرة فلسطينية لجأت إلى البلاد مطلع التسعينيات هربا من الحرب الأهلية في لبنان، وأنهت دراستها للطب بنجاح في برلين، ثم فرضت ابنة الثامنة والعشرين نفسها في المشهد الإعلامي الألماني الذي يهيمن عليه بشكل شبه كلي الألمان البيض. قصة نجاح نعمة، التي ركزت في عملها الإعلامي على معالجة إشكاليات اليمين المتطرف الألماني والعنصرية وفشل الحكومة في محاربتها، بالإضافة إلى معاداة السامية والتمييز ضد المسلمين، تكللت بفوزها عام 2018 بجائزة "سيفيس" الإعلامية الأوروبية للاندماج والتنوع الثقافي. كما تم ترشيحها لجائزة "غريمه" التي تعد أهم جائزة إعلامية مرموقة في ألمانيا. لجنة تحكيم جائزة "سيفيس" أوضحت سبب منحها الجائزة بالعبارات التالية:

"نعمة الحسن تظهر بثقة ذاتية كبيرة بصفتها مسلمة ترتدي الحجاب (...) الصحفية تدخل وسط الحشود بشجاعة وتحقق وسط اليمينيين ببداهة سريعة وأسلوب مواجه ودون خوف، فاضحة بذلك النمط الخطابي للنازيين الجدد. أداء صحفي متميز في قالب بصري رائع" (1).

تعيين نعمة لتقديم البرنامج المذكور كان بالنسبة لي تطورا منطقيا لمسارها الناجح، ولا أخفي سرا إذا قلتُ إني فرحتُ كثيرا للخبر وقتئذ، خاصة أن هذه الشابة الطموحة التي أتابع مسيرتها المهنية منذ سنوات تختلف عن أولئك الذين يدخلون ساحة الإعلام الألمانية "بتذكرة" التنوع، فقط ليعيدوا إنتاج خطاب البيض المهيمن.

لماذا إذن افتتحتُ هذا المقال بعبارة "كادت"؟

ببساطة لأن نعمة الحسن لم تنجح للأسف في تجسيد هذه القفزة النوعية الواعدة؛ فبُعيدَ إعلان القناة عن تعيينها، كشفت صحيفة بيلت المنتمية للصحافة الصفراء والمعروفة بموالاتها لإسرائيل -حد فرضها على موظفيها التعهد في عقد العمل بالدفاع عن مصالح إسرائيل-، كشفت في 13 أيلول/سبتمبر 2021 عن مشاركة نعمة الحسن العام 2014 في برلين في مظاهرة القدس المعادية لإسرائيل أثناء الحرب الإسرائيلية على غزة، ونشرت صورة لها من المظاهرة وهي تلتحف الكوفية وترفع يدها في شكل إشارة النصر.

تلت هذا الخبر حملة تشويه اتُّهمت فيها الإعلامية بمعاداة إسرائيل والسامية والصهيونية، لتقرر القناة تعليق تقديمها للبرنامج إلى حين انتهاء تحقيق "دقيق" في الاتهامات "الثقيلة" الموجهة إليها، بحجة أنها لا تريد أن تحرم صحفية شابة من التطور المهني (2).

ولم يشفع لها اعتذارها وتعبيرها عن ندمها لمشاركتها في المظاهرة، ولا تأكيدها على أن آراءها تغيرت في السنوات السبع الأخيرة، ولا تنديدها بمعاداة السامية والعنف، ولا حتى خلعها للحجاب لتظهر بخصلات شعرها البني الداكن المربوط إلى الخلف تماشيا مع تنامي شهرتها الإعلامية قبل عامين.

قوبلت حملة التشويه برسالة تضامنية مفتوحة، وقّع عليها المئات من الإعلاميين والفنانين والباحثين الألمان والمهاجرين، بينهم مشاهير. يقول نص الرسالة التي وُجِّهت لقناة غرب ألمانيا:

"نحن مصعوقون إزاء الطبيعة التشهيرية والوشائية التي يدار بها هذا النقاش..." .

تحولت نعمة الحسن إلى هدف للتحريض والكراهية بسبب أصلها الفلسطيني وهويتها المسلمة. وبلغ هذا التحريض ذروته عندما وصفها رئيس تحرير "بيلت" على المباشر في التلفزيون الألماني "بيلت تيفي" بالمتطرفة الإسلامية، وأنكر تمتعها بالكفاءة العلمية اللازمة بسبب انتمائها الديني (3).

> **كانت تجربة نعمة الحسن مختلفة عن أولئك الذين يدخلون ساحة الإعلام الألمانية «بتذكرة» التنوع، فقط ليعيدوا إنتاج خطاب البيض المهيمن.**

نعمة الحسن كانت تقدم أحد أشهر البرامج في ألمانيا قبل أن «يعدمها» اللوبي الصهيوني بسبب دفاعها عن بلدها الأم فلسطين (فابريسيو بنش - رويترز).

غير أن صحيفة بيلت كشفت الأسبوع التالي عن "فضائح" جديدة، من بينها قيام نعمة مؤخرا بوضع علامة إعجاب في مواقع التواصل الاجتماعي على خبر فرار الأسرى الفلسطينيين (الذين وصفتهم الصحيفة بالإرهابيين) من سجن جلبوع الإسرائيلي ومنشورات تدعم حركة مقاطعة إسرائيل (BDS)، وأخرى تدعو إلى تحرير فلسطين من النهر إلى البحر، واصفة إياها بالتحريض على إبادة إسرائيل (4).

في ظل "الفضائح" الجديدة، قررت قناة غرب ألمانيا التراجع بشكل نهائي عن منح نعمة الحسن تقديم برنامج كووركس، بحجة أن القناة ترفض رفضا تاما معاداة السامية. لكنها أبقت الباب مفتوحا أمام احتمال التعاون مع الصحفية بصفتها كاتبة تقارير تلفزيونية للبرنامج ذاته، وهو ما أثار بدوره ضجة واستنكارا ممن يرون في نعمة الحسن شخصا غير متناسب وقيم قناة عمومية ألمانية.

كونستانتين شرايبر يجسد مثالا صارخا لازدواجية المعايير للتعامل مع قضية التنوع في وسائل الإعلام (أندرياس رينتز - غيتي).

الكيل بمكيالين

قد يرى البعض أن ما حدث لنعمة الحسن لا علاقة له بأصولها المهاجرة، وأن أي صحفي يثير الجدل مثلما فعلت سيعرض نفسه للإقصاء؛ لأن شخصه يصبح مسيئا للمؤسسة التي تشغله.

لدحض هذه الفرضية، دعونا ننتقل إلى مشهد آخر: رجل أربعيني أبيض البشرة، شعره أشقر ناعم وعيناه زرقاوان. كونستانتين شرايبر إعلامي ألماني أقل ما يمكن القول فيه أن أسهمه صاعدة حاليا في الساحة الإعلامية الألمانية. سبق له أن عمل مراسلا لقناة دويتشه فيله من دبي، كما قدم برنامجا عن التكنولوجيا في القناة المصرية أون تيفي، ثم برنامج "مرحبا" باللغة العربية في القناة الألمانية الخاصة إن تي في عقب وصول مئات الآلاف من اللاجئين السوريين إلى ألمانيا. وفي مطلع 2021 أصبح شرايبر مذيعا لأهم برنامج إخباري في التلفزيون العمومي الألماني، وهو ما يعد بمثابة تكريم الأبطال في ألمانيا.

الملفت في سيرة شرايبر، الذي يتمتع بعلاقات جيدة مع وزارة الخارجية الألمانية، أنها تعتمد أساسا على المستكشف

الكولونيالي الأبيض للعالم العربي الغرائبي والخطير؛ فإضافة إلى الادعاء بأنه يجيد العربية بشكل كامل (عربيته ركيكة للغاية)، يُصوَّر إعلاميا على أنه خبير ملم بخبايا العالم العربي. وهي خبرة تمخضت عن مؤلفات حققت رواجا كبيرا برغم أنها ضعيفة علميا وغير دقيقة لغويا تصور الإسلام والمسلمين على أنهم خطر يداهم ألمانيا والغرب، وتسهم في شيطنة المهاجرين من أصول عربية ومسلمة في المجتمع الألماني.

> **التنوع في ألمانيا ما يزال يتحرك في حيز الانتهازية السياسية؛ حيث يواجه الإعلام صعوبة كبيرة في تقبل الآراء المثيرة للجدل لأنها تقع خارج سردية البيض.**

آخر هذه المؤلفات رواية لشرايير بعنوان "المرشحة" الصادرة في أيار/مايو 2021، التي استلهم فكرتها بشكل واضح من رواية الكاتب الفرنسي الشهير ميشال ويلبك "خضوع". يرسم شرايير صورة مؤامرة نسجها داعمو التنوع هدفها سيطرة المسلمين على الحكم في ألمانيا. بطلة الرواية شخصية خيالية تدعى صباح حسين، وهي سياسية من الحزب البيئي تنحدر من أصول فلسطينية وتمارس التقية من أجل الفوز بمنصب المستشارة.

في السيناريو الديستوبي (ضد اليوتوبيا) الذي يرسمه شرايير، يتم دعم المسلمين في ألمانيا على حساب الألمان الأصليين، عبر فرض نظام محاصصة في الشركات ومنع الألمان فوق سن السبعين من التصويت ومختلف الإجراءات الأخرى. تتعرض المرشحة لمحاولة اغتيال من قبل شرطية ألمانية شقراء، لكن المرشحة تتعافى، فيما تحكم قاضية مسلمة على الشرطية بالسجن. وتنتهي الرواية قبيل الإعلان عن نتائج الانتخابات.

الغريب في الأمر أن مؤلفات شرايير التي تعيد بشكل واضح إنتاج الصور النمطية المعادية للعرب والمسلمين في ألمانيا، لم تُحدِث جدلا كبيرا. صحيح أن بعض النقاد تناولوها بسلبية، لكن معالجتها بقيت في إطار النقد المهذب الذي لم يحدث أي ضجة. والأغرب في الأمر أن منصبه كمذيع لأهم نشرة أخبار في التلفزيون العمومي الألماني، الذي يفترض أن يلزمه بالحياد، لم يتضرر جراء رواية "المرشحة". بل بالعكس، أسهم التلفزيون العمومي في الترويج للرواية عبر مناقشتها، بالإضافة إلى مواقع إعلامية مرموقة أخرى.

تنوع انتهازي

لماذا اخترتُ هذه المقارنة مثالا على حالة التنوع في الإعلام الألماني؟

صحفية شابة باسم أجنبي وملامح أجنبية تعاني أسرتها نتيجة النكبة منذ عقود، يرجح أنها أُعدِمَتْ مهنيا لأن سرديتها الشخصية لا تتوافق مع السردية الألمانية المهيمنة منذ الحرب العالمية الثانية، والتي تنص على أن المحرقة التي ارتكبها الألمان في حق اليهود وما يترتب عنها من حق إسرائيل في الوجود يمثلان الأولوية المطلقة، وأن أي رواية أخرى مهما كان إلحاحها بالنسبة للمعني شخصيا يجب أن تتراجع أمام هذه الأولوية. وفي المقابل صحفي أبيض مدعوم، يشغل منصبا مرموقا تترتب عنه مسؤولية اجتماعية كبرى، يصدر مؤلَّفا تلو الآخر يغذي بها النزعة اليمينية المتنامية في البلاد ويحذر من مخاطر التنوع المحدقة بالألمان، دون أن يتسبب له ذلك بأي إشكال.

قبل الإجابة عن هذا السؤال أود الخوض باقتضاب في التاريخ القصير للتنوع في ألمانيا.

بدأ التنوع يظهر بصفته فكرة في ألمانيا في العقد الأول من القرن الحالي، لكنه بقي مصطلحا تقنيا مقتصرا على الأوساط الأكاديمية. ومع موجة "أنا_أيضا" (#Me_too) نهاية 2017 بدأت الكلمة تتسرب إلى الرأي العام، لكن انتشارها لم يبلغ أوجه إلا بعد مقتل الأمريكي الأسود جورج فلويد على يد شرطي أبيض، ووصول موجة "حياة السود مهمة" في صيف 2020 إلى ألمانيا.

اكتشف الإعلام الألماني أن وقوفه ضد العنصرية في أمريكا يمكن استثماره بشكل إيجابي لتلميع صورة علامته التجارية إذا تبنى التنوع الموجود في البلاد (كريستيان مانغ - رويترز).

لم يطور الإعلام الألماني تصورا ملموسا عن كيفية تغيير ثقافة مؤسسة إعلامية معينة حتى تصبح في عمقها قابلة للتنوع.

فجأة اكتشف الإعلام الألماني أن وقوفه ضد العنصرية في الولايات المتحدة الأمريكية يمكن استثماره بشكل إيجابي لتلميع صورة علامته التجارية إذا تبنى التنوع الموجود في البلاد أيضا، والذي تجاهله عن قصد وإصرار طيلة عقود برغم نضال المعنيين. فجأة أصبح الجميع يعبرون عن مواقفهم الداعمة للتنوع والمستنكرة للعنصرية والتهميش، وانطلقت حركة حثيثة لدعم توظيف المتنوعين، خاصة المبتدئين، بهدف استقطاب الفئة المتنامية المنحدرة من أصول مهاجرة، والتي تقدر بأكثر من ربع السكان، والتي لا تهتم بالإعلام الألماني عموما، نظرا لعدم تماهيها بمقدميه ومواضيعه وخطابه.

لكن هذه الخطوات لا تخفي مشكلا بنيويا في ألمانيا؛ فالتنوع لم يتم تحديده بعد بشكل دقيق، ولا توجد آليات موضوعية لتجسيده بشكل مستدام خارج القرارات الفردية الرمزية والشعارات الرنانة. لم يطور الإعلام الألماني تصورا ملموسا عن كيفية تغيير ثقافة مؤسسة إعلامية معينة حتى تصبح في عمقها قابلة للتنوع. ولعل أفضل مثال على ذلك غياب أي إحصائية رسمية عن نسبة التنوع في المؤسسات المختلفة، ومع غياب البيانات يصبح مستحيلا تبني إجراءات صادقة وفعالة لتعزيز التنوع. كما أن المؤسسات الإعلامية لم تُبدِ اهتماما للتعاون مع المنظمات المتخصصة في هذا المجال (5).
وبما أن وجود التنوع من عدمه يؤثر على اختيار المواضيع وكيفية معالجتها والخبراء الذين يتم استضافتهم للحديث عن أي موضوع، فإن هذا الموضوع يلعب دورا حساسا في صناعة الرأي العام، ومن ثم في صناعة القرار. إنه أهم رهان يواجهه التنوع، وهو السبب الرئيس في تحفظ

الغالبية المهيمنة في ألمانيا على إسهام الأقليات المتنوعة في الإعلام، أو بالأحرى تحفظها على إسهام من لديه وجهات نظر وسرديات تعكس هذا التنوع، وتشكل تحديا لمنظومة إنتاج الفكر المهيمنة.

> **وجود التنوع من عدمه يؤثر على اختيار المواضيع وكيفية معالجتها والخبراء الذين يتم استضافتهم، ويلعب دورا حساسا في صناعة الرأي العام ومن ثمة في صناعة القرار.**

وإذا ما التفتنا مجددا لقصتَيْ نعمة الحسن وكونستانتين شرايبر، يمكننا الاستنتاج بأن مسألة التنوع في ألمانيا ما تزال تتحرك في حيز الانتهازية السياسية؛ إذ يتم تقبل المواقف المعادية للتنوع بدون إشكال، في حين يواجه الإعلام الألماني صعوبة كبيرة في تقبل الآراء المتنوعة المثيرة للجدل لأنها تقع خارج آفاق سردية البيض. وإذا ما سلمنا بأن التنوع والوعي به أصبحا من شروط العمل الصحفي السليم، خاصة في الدول المتقدمة، يتضح جليا أن أمام الإعلام الألماني الكثير من العمل لمواكبة العصر.

يحتفى بالتنوع «الشكلي» داخل وسائل الإعلام إلا عندما يتعلق الأمر بمقاومة فلسطين للمحتل الإسرائيلي (سين غالوب - غيتي).

المراجع:

1- https://www.bertelsmann.de/verantwortung/projekte-weltweit/projekt/europaeischer-medienpreis-fuer-ufa-lab-produktion.jsp

2- https://presse.wdr.de/plounge/wdr/unternehmen/2021/09/20210914nemiel-hassanzusammenarbeit.html

3- https://drive.google.com/file/d/1iE7V1qZnbvc18ZIROPEU8CVumw2KqHPf/view

4- https://www.bild.de/politik/inland/politik/likes-fuer-antisemitismus-neue-vorwuerfe-gegen-tv-moderatorin-77744690.bild.html

5- https://neuemedienmacher.de/aktuelles/beitrag/diversity-im-journalismus-pm

ذوو الاحتياجات الخاصة.. «الغائب الكبير» في غرف التحرير

مايا مجذوب

تمثل فئة ذوي الاحتياجات الخاصة حوالي 15 بالمئة من سكان العالم، لكن حضورهم في غرف التحرير يبقى «باهتا». أدى ذلك إلى تنميطهم في التغطيات الإعلامية في قالبين: إما أبطالا خارقين أو ضحايا يبحثون عن التعاطف.

بعد أحداث عالمية أثيرت من جديد قضية الأعراق والأقليّات مدفوعة بحراك على وسائل التواصل الاجتماعي، خاصة بعد مقتل الأمريكي من أصل أفريقي جورج فلويد على يد الشرطة الأمريكية. أفضت هذه الحادثة إلى ازدياد وعي مؤسسات الإعلام بالأهمية الاستراتيجيّة لتمثيل الفئات المضطهدة ضمن خطابها الإعلاميّ حرصاً على ضمان التنوع. وبذلك، فتحت غرف التحرير الأمريكية وحتى العالمية أبوابها لتوظيف طواقم عمل أكثر تنوعا من الناحية العرقية.

وبالرغم من هذا التطور الحاصل في توسيع شريحة التمثيل الإعلامي، إلا أن فئة أساسية ظلت حتى اليوم مهمشة إعلاميا؛ إني أتحدث هنا عن ذوي الاحتياجات الخاصة الذين لم تشملهم تغيرات سياسات التحرير، وظلت حتى اليوم

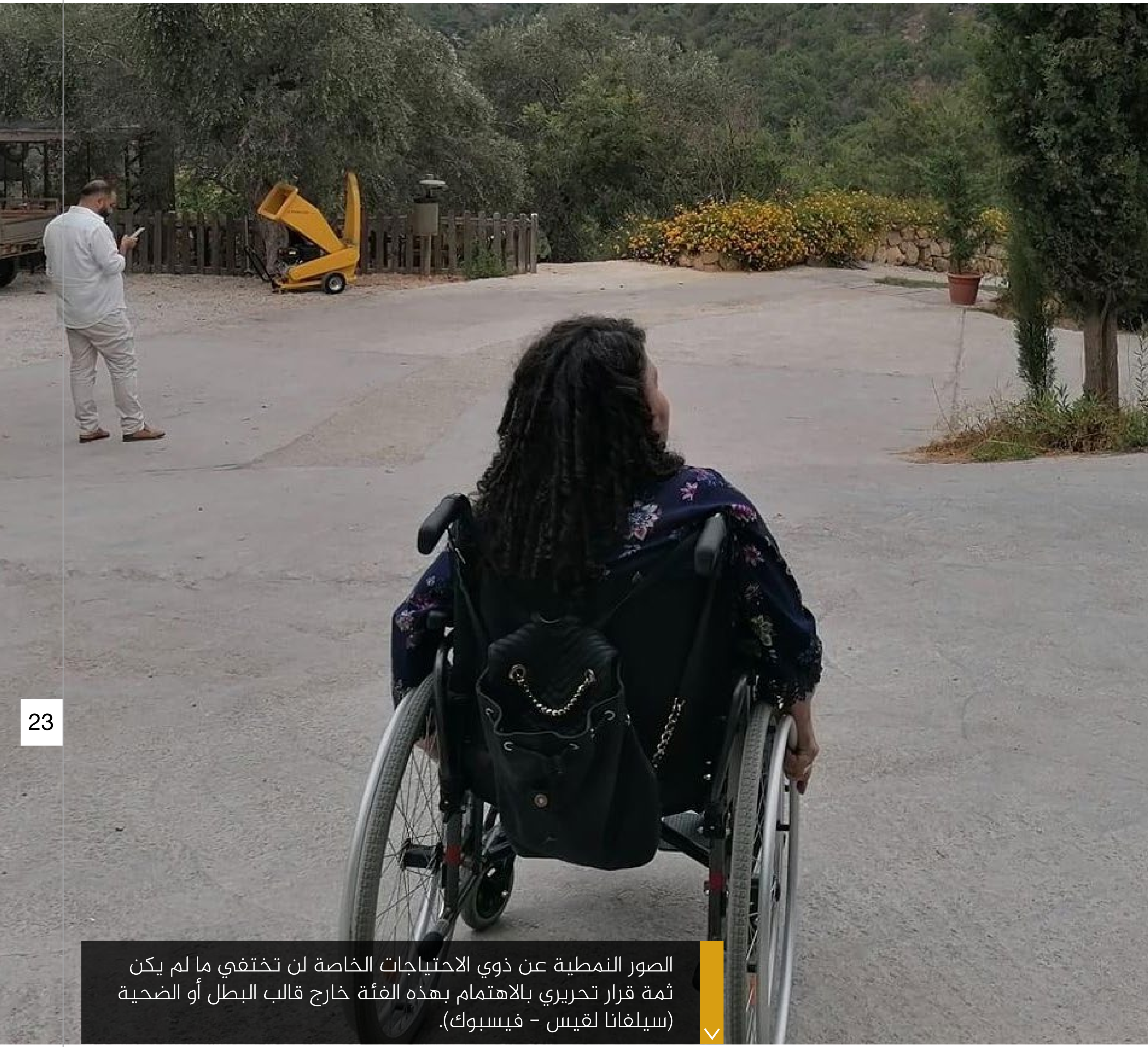

الصور النمطية عن ذوي الاحتياجات الخاصة لن تختفي ما لم يكن ثمة قرار تحريري بالاهتمام بهذه الفئة خارج قالب البطل أو الضحية (سيلفانا لقيس - فيسبوك).

غرف التحرير مفتقرة لصحفيين ومسؤولين ينتمون إلى هذه الفئة. وأمام هذا الغياب لفئة تشكل حوالي 15 بالمئة من سكان العالم، غاب صوتهم في مراكز صناعة القرار الإعلامي مما أفسح المجال لنحت صور نمطية عنهم.

الصور الإعلامية النمطية في العالم العربي

"الإعلام مدّعٍ"، هكذا تخبرنا سيلفانا لقيس رئيسة "الاتحاد اللبناني للأشخاص المعوقين حركيا" و"المنتدى العربي لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة" عند مراجعتها لشعارات ترفعها أغلب المؤسسات الإعلامية؛ مثل: "نحن صوت كل الناس". برأيها "هي شعارات مزيفة ما دام الإعلام لا يؤدي دوره الطبيعي في السعي لإيصال صوت كافة شرائح المجتمع للرأي العام؛ فما زال الإعلام العربي

عامةً تنميطيا إلى حد بعيد، وإقصائيا فيما يتعلق بتغطية ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يعدون بمثابة "أكبر أقلية" في العالم العربي". تقول سيلفانا، في السياق نفسه أيضا، بأن إشكالية الصحافة العربية في تعاملها مع هذه الفئة هي في إهمالها الخطاب "الحقوقي" الناقد للسياسات، واعتمادها على قصص وتقارير دراماتيكية تحبس ذوي الاحتياجات ضمن قالبين سائدين: "الضحية" و"البطل". تُعد صورة "الضحية التي لا حول لها ولا قوة" من أكثر الصور الإعلامية النمطية المروّج لها لذوي الاحتياجات الخاصة تحت شعار العمل الخيري؛ هكذا يظهر الفرد في نشرات الأخبار والبرامج في حالة استجداء لمساعدة الغير، لاستثارة عاطفة الشفقة لدى المشاهد، فتُكرّس عنده صورة أن هذه الفئة مجرد مواطنين عاجزين اتكاليين ومعتمدين دائما على مساعدة الغير، لا على أنهم أشخاص متساوون مع غيرهم، يجب احترامهم ودمجهم في مختلف القطاعات.

وفي قالب آخر، يُقدَّم ذوو الاحتياجات الخاصة ببرامج وتقارير إعلاميّة تظهرهم "أبطالا خارقين صنعوا المعجزات، وكأنهم فعلا بحاجة لصنع المعجزات حتى يتم قبولهم اجتماعيا! وفي كلتا الحالتين، ترى سيلفانا أن ثمة تكريسا لمنطق تقليدي "انفصالي" بحق ذوي الاحتياجات الخاصة يضعهم في خانة منفصلة عن سواهم من أفراد المجتمع، وكأنهم "جنس ثالث" من البشر، فيزيد من عزلتهم الاجتماعية بدلا من أن يسهم في إحقاق الدمج.

> **أفضى مقتل جورج فلويد إلى ازدياد وعي مؤسسات الإعلام بالأهمية الاستراتيجيّة لتمثيل الفئات المضطهدة ضمن خطابها الإعلاميّ حرصاً على ضمان التنوع.**

توظيف ذوي الاحتياجات الخاصة في غرف التحرير سيساعد في نقل معاناة «أكبر أقلية» في العالم العربي (تصوير: تشيب سومودوفيلا - غيتي).

يضاف إلى ذلك عدم التزام الإعلام بتغطية منتظِمة وممنهجة لقضايا ذوي الاحتياجات، فتغيب هذه الفئة عن معظم التقارير والمواد الإعلامية، وتطل فقط بإطار "الإنسانيات" التنميطي، لا سيما خلال الأعياد والمناسبات الدينية.

التقصير الإعلامي

في إشارة إلى مدى تقصير الإعلام في تغطية حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، تشرح سيلفانا كيف أنه عندما تنجز وسائل الإعلام تقارير صحفية عن عودة الطلاب إلى المدارس، لا يلتفت المعدون إلى الطلاب من ذوي الاحتياجات الخاصة، ويفوتهم الإضاءة عليهم بصفتهم شريحة طلابية معنية بالموضوع. والشيء نفسه ينسحب على إعداد تقارير عن البطالة في الدول العربية؛ إذ يتجاهل الإعلام تناول معاناة هذه الفئة "المعطلة" عن العمل، لا سيما في أوضاع صعبة كالانهيار الاقتصادي الذي يمرّ به لبنان. فما بين جائحة كورونا والأزمات الاقتصادية، تصف سيلفانا ما يعانيه ذوو الاحتياجات الخاصة اليوم بـ "الموت البطيء" نتيجة تراكم العزل والتهميش في ظل غياب سياسات "الدمج" عن معظم الدول العربية، وغياب ذوي الاحتياجات الخاصة عن الأجندات الحكومية. بناء على ذلك، فإن غياب الإعلام عن نقل معاناتهم من زاوية حقوقية سيجعلهم أكثر هشاشة وعرضة للمخاطر.

تشير سيلفانا، في معرض حديثها عن انتهاك المعايير الأخلاقية بسبب غياب تمثيل ذوي الاحتياجات الخاصة في غرف التحرير، إلى سوء تعامل الإعلام في كثير من الأحيان مع الخطابات السياسية التي تستخدم كلمة "إعاقة" أو "معاق" في معرض توصيف كل ما هو معطل أو في سياق أقرب إلى "الشتيمة". وعليه، يكثر استخدام مثل هذه المصطلحات في فترة الانتخابات، خاصة في خطب المرشحين. وفي ظل غياب المساءلة الإعلامية، فإن من شأن ذلك إحداث ضرر نفسي واجتماعي كبير عند فئة ذوي الاحتياجات الخاصة.

صور نمطية

في دراسة إعلامية أجراها الباحث كولن بارنز سنة 1992(1)، كشف عن أبرز الصور النمطية التي لطالما روّجت لها السينما والدراما عن ذوي الاحتياجات الخاصة بدافع تمييزي، وهي نفسها التي تروجها وسائل الإعلام، وهي على النحو التالي:

صورة "الشر المطلق" أو الخير المطلق".

صورة "المسكين المحتاج".

صورة الإنسان "اللاجنسي": أي تجريد ذوي الاحتياجات الخاصة من أي كينونة جنسية وتأطيرهم بصفتهم أفرادا "لا جنسيين" أو أفرادا انتهت حياتهم الجنسية بالكامل على عكس غيرهم من الناس.

صورة أصحاب الطاقات الخارقة: أي إظهار أن طاقة خارقة نبتت لدى شخصية من ذوي الاحتياجات الخاصة بصفتها نوعا من التعويض.

الصورة الأحاديّة المسطحة: حيث يُختزل دور ذوي الاحتياجات الخاصة بالإعاقة، وتصبح الإعاقة هي محور كل الأحداث والحوارات المتعلقة بالشخصية؛ فتبدو الشخصية أحادية ومسطحة وخالية من الأبعاد، وكأن لا أفكار وآراء ومشاعر لها خارج فلك الإعاقة.

صورة المهرج.

الصور النمطية والإعلام والأنظمة

قد تبدو مسألة التنميط الإعلامي عبثية ليس لها أبعاد سياسية، لكن في الواقع، توجد بين الصورة الإعلامية والمنظومة الحاكمة علاقة عضوية. الإنتاج الإعلامي والدرامي عادة ما يعكس ويكرس أيديولوجيات وتوجهات الأنظمة الحاكمة، لا سيما في تعاطيها مع الفئات المهمشة والمستضعفة اجتماعيا.

الأنظمة التي تتعاطى مع ذوي الاحتياجات الخاصة على أنهم يشكلون عبئا اقتصاديا إضافيا لا شريحة منتجة اقتصاديا واجتماعيا، يميل إعلامها الرسميّ والخاص إلى استبعادهم من التمثيل الإعلامي أو اختزالهم بصور نمطية تبريرا للسياسات الإقصائية تجاههم، والمكرَّسة

يجب أن يتعامل الإعلام مع ذوي الاحتياجات الخاصة كأشخاص يتوفرون على حقوق المواطنة الكاملة دون مركب نقص (لوكاس يوبيل - غيتي)

في العقول والنصوص معا. باختصار، إن الاستبعاد أو الاختزال الإعلامي المتكرر في المشهدية يعني إقصاء سياسيا اقتصاديا اجتماعيا في الخلفية.

وفي بلادنا العربية، حيث تكثُر إصابات الحروب والأزمات، يصبح من الضروري بل من الواجب الأخلاقي إيلاء موضوع تمثيل ذوي الاحتياجات الخاصة في الإعلام أهمية خاصة.

> **غياب ذوي الاحتياجات الخاصة في غرف التحرير يجعل وسائل الإعلام تتعامل معهم إما كأبطال أو كضحايا وليسوا كمواطنين عاديين.**

مقترحات إعلاميّة لمواجهة التمييز

بناءً على كل ما سبق، كيف يمكن للمنتجين والصحفيين وصانعي المحتوى المساهمة في كسر الصور النمطية والمقاربة الإعلامية التمييزية بحق ذوي الاحتياجات الخاصة؟ هنا بعض المقترحات العملية: ضرورة وضع ميثاق إعلامي يرتكز على "شرعة حقوق الإنسان" وعلى "الاتفاقية الدولية لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة" وأن توقع عليه المؤسسات الإعلامية، وتكون مبادئ الميثاق هي المساواة بين كل الأشخاص على مستوى التوظيف الإعلامي والتغطية الإعلامية. برأي سيلفانا، إن هذه الخطوة من شأنها التأسيس لخطاب إعلامي حقوقي يستبدل إطار "الإنسانيات" التنميطي السائد بالـ"الحقوقيات".

توظيف ذوي الاحتياجات الخاصة في المؤسسات الإعلامية، على الشاشة وخلفها. تؤكد سيلفانا أن الدول العربية ملتزمة بحجز وظائف لذوي الاحتياجات الخاصة في القطاعين العام والخاص بـ كوتا (حصة) نسبتها 3٪. لكن لغاية اليوم لا نرى في المؤسسات الإعلامية في عالمنا العربي تطبيقا لذلك برغم وفرة أشخاص من هذه الفئة متخصصين بالإعلام على أنواعه. إنّ وجود ذوي الاحتياجات الخاصة ضمن فريق صناعة المحتوى الإعلامي من شأنه ضمان التمثيل الإعلامي للفئات المهمشة.

إدخال العامل "الحركي" في تمثيل ذوي الاحتياجات الخاصة في الإعلام. مثلًا، على صعيد اللوغو، عمد المصممان Brian Glenneyو Sara Hendren مؤخرا إلى إعادة تصميم لوغو الأشخاص المقعدين وتحويله من رسمة جامدة إلى رسمة نرى فيها الشخص المقعد في حالة حركية ونشاط. الأمر نفسه ينسحب على تمثيل ذوي الاحتياجات في البرامج التلفزيونية؛ فبناء مثلا على تجربة شخصيّة، عندما استضفتُ شابا كفيفا في مقابلة تلفزيونية، ووجدته شابا ساخرا يهوى النكات، اتفقنا أن يخبرنا مآخذه على الواقع التمييزي ضد ذوي الاحتياجات الخاصة في لبنان بأسلوب الـ "ستاند أب" كوميدي. وفعلا، كان الشاب أكثر إقبالا وعفوية بالتعبير، وكان الجمهور أكثر تفاعلا مع قضيته.

> **"قد تبدو مسألة التنميط الإعلامي عبثية، لكن في الواقع، توجد بين الصورة الإعلامية والمنظومة الحاكمة علاقة عضوية. الإنتاج الإعلامي عادة ما يعكس توجهات الأنظمة الحاكمة."**

تدريب العاملين بالقطاع الإعلامي على كيفية منهجة حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة ضمن الخطاب والتغطية الإعلامية، بدءا من المصطلحات المستخدمة وأساليب التأطير، وصولا إلى كيفية التعامل مع هذه الفئة حتى خلف الكواليس عند تقديمهم مثلا لطلب توظيف في المؤسسات الإعلامية.

تطوير أبحاث ودراسات أكاديمية لإدخال مادة "الإعلام الحقوقي" ضمن التخصص الإعلامي.

تفادي إظهار ذوي الاحتياجات الخاصة بقالب "المحتاج والبائس" ووضعهم بجانب آخرين يؤطّرون بقالب "المخلّص". ينصح بارنز بأهمية إظهار ذوي الاحتياجات الخاصة بقالب من "يمنح" الغير وليس فقط من "يأخذ" المساعدة منهم وفقا للصورة الإعلامية المهيمنة.

التواصل الإعلامي المباشر مع أفراد من ذوي الاحتياجات الخاصة بدلا من التواصل مع مؤسسات ريعية تقدم خدمات لهم.

تجنب طرح ذوي الاحتياجات الخاصة بأدوار تربط بين الإعاقة والشر أو الإعاقة والكوميديا أو الإعاقة واللاجنسانيّة.

تشجيع ذوي الاحتياجات الخاصة على فتح قنوات على اليوتيوب وإنتاج مواد إعلامية وفيديوهات عبر منصات مواقع التواصل الاجتماعي؛ لطرح قضاياهم وخلق فسحة تخصهم لا نجدها في الإعلام التقليدي. من الأمثلة الجيدة على ذلك فيلم In My Language لـ Amelia Baggs، وهو محتوى صنعته الشابة على اليوتيوب لتشارك المشاهدين تجربتها مع التوحد من منظارها الخاص قائلة: "لا أفهم لم علي أنا أن أتعلم لغتكم كأنها اللغة الوحيدة للتواصل، فيما أنتم لا تحاولون تعلم لغتي أيضا للتواصل معي؟".

إن مثل هذه التغييرات في الصورة الإعلامية، مع ضمان تمثيل أكبر لذوي الاحتياجات الخاصة في غرف التحرير، قادرة على تغيير العقلية المهيمنة في المجتمع، الأمر الذي سيؤدي إلى تغيير السياسات التمييزية السائدة تجاه ذوي الاحتياجات الخاصة.

المراجع:

- كولن بارنز (1992). الصور المعطلة والإعلام. المجلس البريطاني لمنظمات ذوي الاحتياجات الخاصة. رابط الدراسة:
http://www.media-diversity.org/en/index.
601=php?option=com_content&view=article&id

التنوع.. صدى صرخة جورج فلويد داخل غرف التحرير

يونس مسكين

لطالما طرحت مسألة التنوع والتعددية في ارتباط بالصحافة، لكنها ظلت تطرح كحق فقط ولم ينظر إليها قط كواجب يتحتم على غرف التحرير نفسها احترامها داخل فريقها. لم يصبح موضوع التنوع داخل غرف التحرير مادة للنقاش إلا بعد حادثة مقتل جورج فلويد. حينها فقط تشكل نوع من الوعي بأن المشاهد أو القارئ أو المستمع يحتاج أن يشعر بوجود إنسان «يشبهه» خلف إنتاج المحتوى ونشره.

يعد التنوع الفكري والسياسي والثقافي داخل غرف التحرير آخر قلاع المسكوت عنه في مجال الصحافة وأخلاقياتها؛ فقد ابتدعت هذه المهنة في بداياتها فكرة "الخط التحريري"، ومن خلالها أمكن تمرير كل شيء: الحياد والمهنية والموضوعية، كما التقييد والتوجيه والحصار.

يسمح الخط التحريري بتحديد هوية الصحفيّ وانتمائه وفكره، وحتى لون بشرته الذي يمكنه من الالتحاق بغرفة التحرير؛ إذ كيف لصحفي أسود البشرة أن يلج غرفة تحرير صحيفة يمولها رجل أعمال أبيض متطرف مثلا؟

التنوّع أطال عمر صحيفة

عشتُ شخصيا تجربة مهنية في السنوات الأخيرة كانت كلمة السر في الجانب المشرق منها (لا شك أن لها جوانب أخرى أقل إشراقا) هي التنوع الفكري والسياسي والثقافي؛ فقد كانت صحيفة "أخبار اليوم" المغربية في بداية العام 2018 تعيش واحدة من أخطر أزماتها، حين توليتُ الإشراف على إدارة نشرها. كان الكثيرون، إن لم يكن أغلب المراقبين، يتوقعون انطفاء شعلة هذه الصحيفة خلال أسابيع أو شهور من بدء أزمتها، لكنها تمكنت من الصمود والاستمرار لنحو ثلاث سنوات لأسباب كثيرة؛ أهمها -أو أقربها إلي- هو احترام التنوع داخل غرفة تحريرها الذي انعكس على جودة العمل الصحفي. كثيرا ما تعمد المؤسسات الصحفية إلى اختيار الانتماء إلى "معسكر" معين، إن لم يكن ميلا منها إلى أفكاره ومرجعياته، فسعيا إلى إبقائه "ظهرا" وسندا لها في مهنة قدرُها أن تتحرك بين أقدام "الفيلة" من أصحاب النفوذ والسلطة. لكن خياري بصفتي مديرا للنشر (أي مسؤولا أمام القانون وأمام القراء ومن يشعرون بقدر من الانتماء أو التعاطف مع الصحيفة) كان هو التنوع والانفتاح على جميع الآراء والأفكار، مع الإبقاء على الانحياز الوحيد لجهة

البحث عن الحقيقة والقيام بدور الصحافة في السهر على مصالح المجتمع وإبقاء كل ذي سلطة أو نفوذ تحت الأضواء الكاشفة.

في لحظة استهداف واضح لصحيفة يعرف الجميع أنها كانت الأكثر إزعاجا وإرباكا للأطراف الساعية إلى الهيمنة وفرض وجهة نظرها عبر أساليب مختلفة، كان البعض يتوقع من الصحيفة تطرفا في المواقف وانحيازا سافرا لهذه الجهة السياسية أو تلك لتحصيل الدعم والمساندة، لكن الانحياز الذي وقع كان لجهة المهنة والوظيفة التي اختُرِعَت من أجلها الصحافة.

أول خطوة في هذا الاتجاه تمثلت في وضع الحيز المخصص لنشر الرأي اليومي (بمثابة افتتاحية) رهنَ إشارة أقلام مختلفة ومتنوعة حد التناقض أحيانا؛ فكنتَ تجد رأي كاتب له خلفية يسارية واضحة في هذا اليوم، ومقالا لصحفي منحدر من تجربة سياسية ومهنية إسلامية في اليوم الموالي، ثم تجد قلما ذا مداد محافظ فكريا في اليوم الثالث، ثم كاتب بنبرة شبه علمانية في اليوم الرابع، وهكذا.

لم يكن هذا التنوع والاختلاف ضد وحدة الخط التحريري للصحيفة ولا طمسا لهويتها كما اعتقد البعض في البداية، بل كان كُتّاب تلك المقالات الافتتاحية في مستوى من المهنية جعلهم يحتفظون بالمشترك والمتفق عليه مهنيا، مع استثمار مساحة الحرية شبه المطلقة في التعبير عن الآراء، حتى إنهم كانوا أحيانا يدلون بتعليقات متعارضة حول الحدث نفسه، أو يفتحون زوايا للنقاش والتحليل أغفَلَتها التغطية الإخبارية والتقارير الصحفية.

أدى ذلك في النهاية إلى تقوية مصداقية الجريدة ومكانتها لدى القارئ؛ على اعتبار أنها صحيفة ذات اختيار تحريري واضح من حيث الموقع الذي اختارته بين القوى السياسية

«كنت بصفتي ناشرا للصحيفة أتعرض لضغوط من أطراف مختلفة، بعضها لاعتراض شخصي على هذا الكاتب أو ذاك، بسبب أسلوبه أو خلفيته السياسية والفكرية» (تصوير: كريس جي راتكليف).

والاقتصادية المتنافسة، لكنها لا تقصي أي وجهة نظر مهما كان اختلافها معها كبيرا.

واجهَتْ هذه التجربة صعوبات ومقاومة كبيرة في بدايتها؛ إذ كنتُ -بصفتي ناشرا للصحيفة- أتعرض لضغوط من أطراف مختلفة، بعضها لاعتراض شخصي على هذا الكاتب أو ذاك، بسبب أسلوبه أو خلفيته السياسية والفكرية، وبعضها الآخر لرغبة من البعض في حمل الصحيفة على الاصطفاف إلى جانبه سياسيا. لكن، ومع مرور الوقت، تحوّل هذا المعطى المتمثل في التنوع واحترام الاختلاف داخل هيئة التحرير إلى مصدر قوة للصحيفة وسبب رئيس لاستمرارها؛ لأنه أصبح أكبر دليل على حيادها ومهنيتها وبعدها عن خدمة أي أجندات أو توجيهات للرأي وزوايا المعالجة الخاصة بمضمونها نحو هذه الوجهة أو تلك.

إرث جورج فلويد

لم يصبح موضوع التنوع داخل غرف التحرير مادة للتحليل (بهذه الطريقة القوية) في مختبرات الإعلام الحديثة إلا بعد حادثة مقتل جورج فلويد؛ الأمريكي من أصول أفريقية، والذي لفظ أنفاسه الأخيرة خنقة تحت ركبة شرطي أمريكي أبيض يوم 25 مايو/أيار 2020.

اتخذ النقاش حول فكرة التنوع مسلكين اثنين؛ أحدهما أخلاقي، على اعتبار أن الحادثة كسرت أخيرا طابو الحدود المهنية التي يخلفها تنميط غرف التحرير؛ إذ لا يمكن أن تحضر بعض المواضيع إلا بحضور ممثلين للفئات التي تعاني من تبعاتها، فيما كان المسلك الثاني تجاريا محضا؛ فبعض الدراسات تحاول "إغراء" الناشرين بالعائد المالي الذي يحققه التنوع داخل غرف التحرير، حين يسمح لها ذلك بتوسيع قاعدة جمهورها ومن ثم زيادة أرباحها من المبيعات والاشتراكات والإعلانات.

الصحفي الذي لا ينتمي إلى إحدى الفئات العرقية أو اللغوية أو الثقافية للمجتمع معرض بشكل كبير للسقوط في خطأ استعمال الأحكام المسبقة وتكريس الصور النمطية، اعتقادا منه أنها جزء من «الحقيقة».

لكن علاقة المؤسسة الصحفية مع الجمهور تحتاج إلى أكثر من المصداقية والثقة؛ فالاكتفاء بهذا المستوى ينطوي على قدر غير هين من التعالي وادعاء حيازة "سلطة معنوية" ما على المتلقي؛ أي إنه عليك أن تدعمنا لأننا نملك ناصية المهنة ونقدمها لك وفقا لقواعدها الصارمة. تحتاج هذه العلاقة، ولو جزئيا، إلى شعور المتلقي بأن المؤسسة الإعلامية "تمثله" بشكل أو بآخر.

فحين يكون هذا الجمهور المستهدف متنوعا ومركبا، لا يمكن جعله يشعر بوجود هذا النوع من التمثيلية من خلال المحتوى وحده مهما بلغت درجة تنوعه، بل يحتاج المشاهد أو القارئ أو المستمع أن يشعر بوجود إنسان "يشبهه" خلف إنتاج المحتوى ونشره. في الشاشة يدقق المشاهد في تفاصيل من يخاطبه وملامحه وهندامه، وفي الإذاعة يكون لامتلاك ناصية اللغة وحضور تلك اللكنة والنبرة القريبة من المتلقي في صوت المذيع أهمية أساسية، وفي الصحافة المقروءة أيضا يحتاج المتلقي إلى الشعور بوجود أفراد داخل غرفة التحرير ينحدرون من منطقته، أو فئته، أو عرقه... إلخ هكذا يتجاوز المتلقي عتبة الاقتناع ليصل إلى الشعور بقدرة هذه المنصة على نقل انشغالاته وهمومه الخاصة.

تنوع الانتماءات.. تنوع الخلفيات

كشفت دراسة لمؤسسة نايت الأمريكية غير الربحية، أُنجِزَتْ قبل حادثة جورج فلويد، أن 69 بالمئة من الأمريكيين يعتبرون أن من المهم لغرفة التحرير أن تعكس التنوع السكاني للبلاد، وترتفع أهمية هذا التنوع لدى الفئات الأقل حظا في مجالي المال والسلطة؛ كالأمريكيين من أصول أفريقية أو الناطقين بالإسبانية أو ذوي الأصول الآسيوية (1).

التنوع السياسي والثقافي في بلد يضج بالروافد عنصر قوة داخل غرف التحرير (شترستوك).

لا يمكن أن تحضر بعض القصص إلا بحضور ممثلين للفئات التي تعاني من تبعاتها (شترستوك).

إذا لم تكن غرفة التحرير متنوعة بما يكفي، سينعكس ذلك بالضرورة على طبيعة التغطية التي تقوم بها والمواضيع التي تتناولها. التحلي بحس مهني عال وثقافة واسعة ورغبة -وإن كان حافزها ماديا/تجاريا- لا يعوض القدرة التي يتمتع بها الانتماء الاجتماعي أو العرقي أو الثقافي لعضو غرفة التحرير، والذي يجعله "متحدثا" باسم الفئة التي ينحدر منها، سواء شعر بذلك أم لم يشعر؛ ففي الحالة الأمريكية، حيث تتوفر أعلى درجات وفرة الإحصائيات والمعطيات المفتوحة، تجد التفاوتات الاجتماعية وظواهر العنصرية والتهميش الموجودة في المجتمع أحد تفسيراتها في بنية المؤسسات الإعلامية؛ إذ كشف استطلاع التنوع الذي أجرته جمعية ناشري الصحف الأمريكية سنة 2019 أن أقل من 19 بالمئة من مسيري جميع المؤسسات الإعلامية المطبوعة والإلكترونية هم من ذوي البشرة السوداء (2)، بينما كشف استطلاع آخر أن 17,2 بالمئة فقط من مديري الأخبار في القنوات التلفزيونية و8 في المئة فقط من مديري الأخبار في المحطات الإذاعية هم من ذوي البشرة السوداء (3).

ومهما بلغت درجة الصرامة في توحيد و"تنميط" العمل داخل غرفة التحرير، فإن الخلفية الثقافية والانتماءات الخاصة بكل فرد من أفراد الطاقم تنعكس على المحتوى

الذي ينتجه. والصحفي الذي لا ينتمي إلى إحدى الفئات العرقية أو اللغوية أو الثقافية للمجتمع معرض بشكل كبير للسقوط في خطأ استعمال الأحكام المسبقة وتكريس الصور النمطية، اعتقادا منه أنها جزء من "الحقيقة".

وينطبق الأمر نفسه على الاختلافات السياسية والفكرية؛ ذلك أن الصحفي المنحدر من مدرسة فكرية "تقدمية"، لا يمكنه أن يحجب فكرة اعتباره بعض التيارات الفكرية الأخرى "رجعية" أو "متخلفة"، كما لا يستطيع الصحفي الذي صَقَل ثقافته في حضن تيار فكري محافظ، أن يطرد من فكره وهو يخبر أو يعلّق على موضوع يهم المختلفين معه فكريا أنهم "يخدمون الأعداء" أو يشقون "الصف الوطني". ويزداد وقع الخلفية الفكرية والثقافية الخاصة بالعضو في غرفة التحرير، حين يتعلّق الأمر بموقف "أخلاقي" تجاه فئة ذات اختيارات مختلفة في المجال العام أو على صعيد الحياة الشخصية.

> **يزداد وقع الخلفية الفكرية والثقافية الخاصة بالصحفي، حين يتعلّق الأمر بموقف «أخلاقي» تجاه فئة ذات اختيارات مختلفة في المجال العام أو على صعيد الحياة الشخصية.**

إعلام متنوع لا حاطب ليل

قصة البحث عن التعدد والتنوع السياسي والثقافي داخل صحيفة "أخبار اليوم"، كما عشتُها، لم تقتصر على صفحتها الأولى وافتتاحيتها وتغطياتها الإخبارية، بل شملت حتى مقالات الرأي التي كانت تُنشر في صفحة داخلية يومية، إلى جانب أعمدة قارّة في الصفحة الأخيرة. يُفترض، حسب المفهوم الكلاسيكي لغرف التحرير، أن تُحدَّد مساحة الحرية لكُتّاب الأعمدة ومقالات الرأي من طرف المؤسسة الإعلامية، بالاستناد إلى معسكر اصطفافها ومصادر تمويلها وميولات ناشرها الفكرية والسياسية والثقافية.

إنه أمر نجحت صحيفة "أخبار اليوم" المتوقفة عن الصدور في كسره، من خلال المشارب المختلفة لكتاب أعمدتها القارة، لدرجة أننا كنا نحرص بشكل متعمد على عدم الجمع، ما أمكن، بين رأيين يمتحان من المرجعية الفكرية نفسها في العدد نفسه؛ فكنتَ تجد كاتبا يمينيا في هذا الركن وآخر يساريا في الركن المقابل، وأحيانا كان يتوسطهما رأي من فصيلة ثالثة.

تجربة التنوع هذه كانت تصل مداها في تقليد كانت تمارسه هذه الصحيفة، يتمثل في إعطاء الكلمة لعدد كبير من الشخصيات السياسية والفنية والثقافية للإدلاء بآرائهم حين يتعلق الأمر بقضية كبيرة أو ملف حساس أو حدث مهم، لكنه لم يكن تنوعا أعمى ولا حاطب ليل؛ إذ حرصت هذه التجربة على تجنب الكثير من الوجوه المستهلكة والتي تردد الرواية نفسها (غالبا ما تكون رسمية أو شبه رسمية)، لكنها تتجنب أي مجازفة بتجاوز المسموح به في التحليل والنقد، وهو ما كان يصيب خصوم هذه الصحيفة بالجنون.

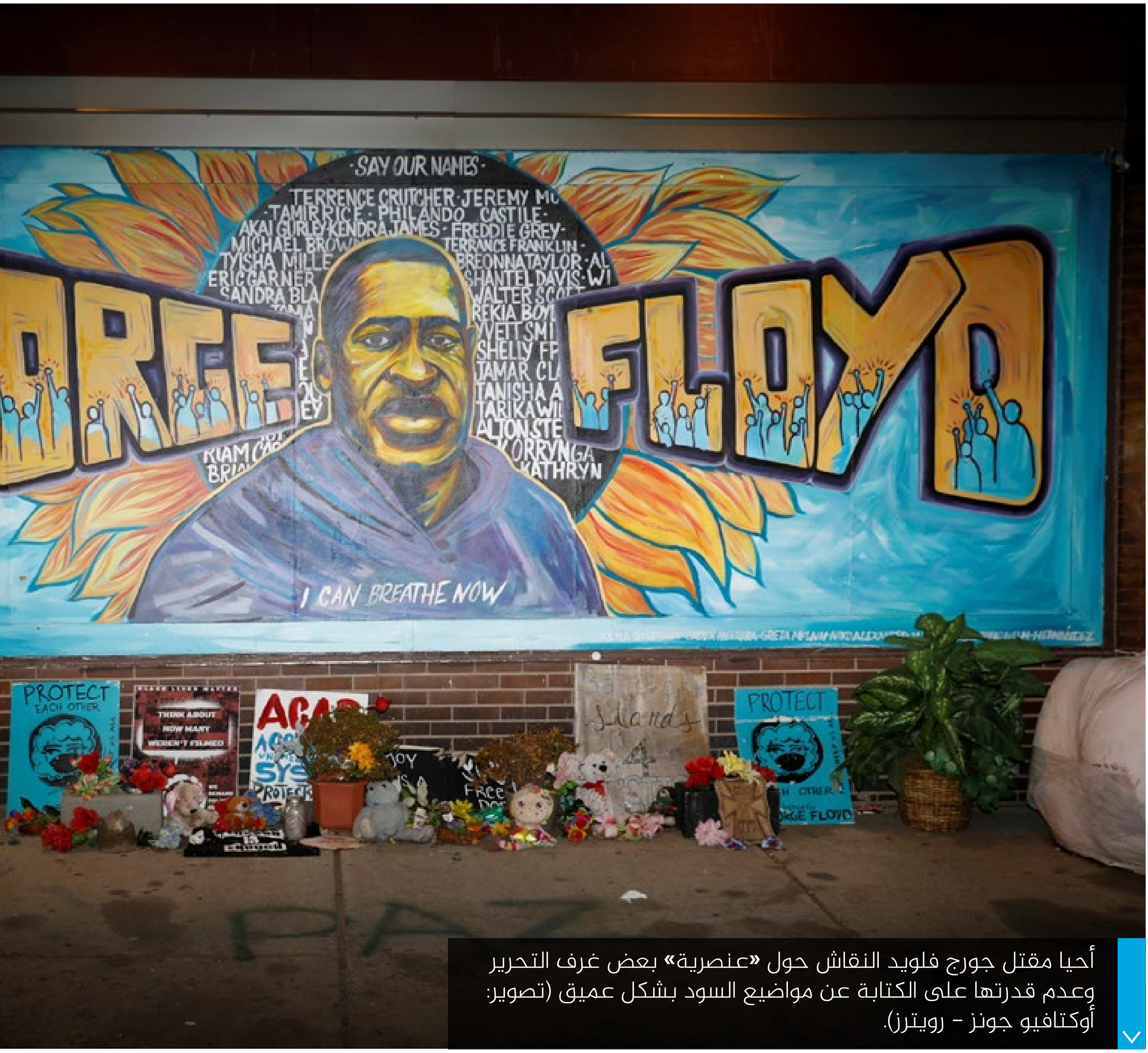

أحيا مقتل جورج فلويد النقاش حول «عنصرية» بعض غرف التحرير وعدم قدرتها على الكتابة عن مواضيع السود بشكل عميق (تصوير: أوكتافيو جونز - رويترز).

وأذكر، في أحد ملفاتها الأخيرة من هذا النوع، كيف أن الأطراف التي كانت تزعجها هذه الصحيفة بوجودها ونوعية الصحافة التي تمارسها، قد عابت عليها الاقتصار على رأي واحد في تناول الموضوع، ولم تكن تلك الأطراف تقصد سوى أن جميع المشاركين ممن يُشهد لهم بالاستقلالية والنزاهة الفكرية هم من يشاركون في تحليل الأحداث الكبرى. وفي واقع الأمر، كان المشاركون في ذلك الملف يتناقضون فيما بينهم من حيث المنطلقات وحتى النتائج: كان منهم اليساري واليميني والإسلامي والليبرالي، المعتدل والجذري. وحتى في السؤال الذي طرحته عليهم الصحيفة كانت إجاباتهم مختلفة ومتناقضة.

تنوّع عمودي بين الأجيال

ينبغي الانتباه إلى أن التنوع داخل غرف التحرير لا يتعلق فقط بالاتجاه "الأفقي"؛ أي بالانتماءات الفكرية والسياسية والعرقية والثقافية، بل هناك أيضا اختلاف وتنوع مهم في الاتجاه "العمودي"، ويتعلق بالأجيال المختلفة. كثيرا ما

تسقط المؤسسات الإعلامية العريقة والراسخة في المهنية فيما يشبه "الفقاعة" التي بات الحديث عنها في علاقة بالشبكات الاجتماعية، أي انغلاق الفرد أو المجموعة في حيّز صغير والقيام بعمليات التبادل والنقاش داخل هذا الحيز، مع شعور واهم بوجود الاختلاف والتنوع.

وأذكر دائما تلك التجربة الخاصة التي عشتُها في أول تدريب مهني خضته بصفتي طالبا للصحافة صيف العام 2006، في واحدة من أعرق الصحف المغربية، حيث عبّر مدير نشرها، وهو صحفي

> **كشفت دراسة لمؤسسة نايت غير الربحية، أُنجِزَتْ قبل حادثة جورج فلويد، أن 69 بالمئة من الأمريكيين يعتبرون أن من المهم لغرفة التحرير أن تعكس التنوع السكاني للبلاد.**

مجرّب وأديب مرموق، عن دهشته تجاه الأفكار البسيطة التي أتيتُ بعد سنة واحدة من دراسة الصحافة أحملها معي، لدرجة وضعني معها في موقف محرج وهو يصر على كي أنجز تقريرا شاملا حول الصحيفة ومضامينها وأبدي فيه ملاحظاتي، وهو ما جعلني في موقف صعب مع بعض الصحفيين ورؤساء التحرير ومسؤولي بعض الأقسام الذين واجَهُهم في اجتماع رسمي بما قدمته من ملاحظات.

هذا الاتجاه "العمودي" في التنوع داخل غرف التحرير زادت من أهميته تكنولوجيا الاتصال الحديثة؛ إذ لم يعد بإمكان الصحفي الذي تجاوز عتبة الثلاثين مثلا، وهو الذي يعد في الاعتقاد الكلاسيكي شابا صغير السن، أن يدعي الإلمام بقضايا وانشغالات جيل المراهقين وشباب العشرينات الأولى من العمر. بل إن مخاطبة بعض الفئات العمرية بات يمر حتما بواسطة نظراء للجمهور المستهدف؛ لاستحالة تمكن الأجيال الأخرى من القاموس والبنية المختلفة للخطاب والحوار المتداول لدى بعض الفئات العمرية، خاصة عبر بعض المنصات التواصلية الجديدة.

المراجع:

1- https://www.niemanlab.org/2020/06/two-new-studies-about-media-and-diversity-can-help-newsrooms-through-their-reckoning-with-racism/

2- https://www.newsleaders.org/2019-diversity-survey-results

3- https://www.rtdna.org/article/2019_research_local_newsroom_diversity

diversity-im-journalismus-pm

«التنوع الزائف» في غرف الأخبار الأمريكية

ملاك خليل

هل التنوع في غرف الأخبار الأمريكية حقيقي يسعى إلى إحداث التوازن في القصص الإخبارية، أم أنه أصبح فقط «موضة» خاصة بعد تصاعد موجة العنصرية ضد السود؟ هذه قراءة في مقال لـ «كولومبيا جورناليزم ريفيو»، الذي يرى أن جهود التنوع فشلت باستثناء تجارب قليلة.

في العام 2018، قُدِّرت نسبة المواطنين من ذوي البشرة الملوّنة في الولايات المتحدة الأمريكية بحوالي 38 في المئة، والرقم آخذ في الازدياد، إلا أن هذه الأرقام لا تنعكس على غرف أخبار المؤسسات الإعلامية، بحسب تقرير لـ فاراي شيديا (1) نُشِر في موقع "كولومبيا جورناليزم ريفيو". اختارت مقدّمة البودكاست المتخصص (2) (Our Body Politic) بقضايا النساء من ذوات البشرة الداكنة، أن تضيء على ما أسمته "الانقسام العميق" في غرف الأخبار، لتخلص إلى أن جهود تحقيق التنوّع "فشلت"، لكن ذلك لا يعني حتمية هذه النتيجة؛ فبالنسبة لها، ثمة دائماً ما يمكن فعله في سبيل التغيير.

تعود الكاتبة إلى العام 1978، عندما طالبت الجمعية الأمريكية لمحرري الأخبار بضرورة تعزيز التنوع في غرف الأخبار. حسب الجمعية، فإن اللاتينيين والصحفيين من ذوي البشرة غير البيضاء، شكلوا 12 في المئة من هيئة تحرير الصحف في العام 2000. وفي العام 2016، ارتفع هذا الرقم بشكل طفيف ليصل إلى 17 بالمئة.

يعبّر المدير التنفيذي للجمعية تيري هايت عن مخاوفه، منبها الناشرين والمحررين إلى أهمية التنوع في غرف أخبارهم: "من المهم أن تتغير هذه الأرقام، وإلا ستكون النتيجة خسارة المزيد من الجمهور".

بعض الصحف الأمريكية تبنت التنوع لكن دون تأثير حقيقي على قضايا العرق (تصوير: شترستوك).

تسرد شيديا تاريخ غرف الأخبار الأمريكية في التعامل مع الصحفيين اللاتينيين أو ذوي البشرة الملونة؛ إذ إنها لم ترحب بهم، فما كان منهم إلا أن اتجهوا نحو تغطية القصص التي طالما غابت عن أجندات الصحفيين من ذوي البشرة البيضاء.

تحاول شيديا التعمق أكثر في شرح المعضلة، فتعود إلى تسعينيات القرن التاسع عشر، حين تولّت الصحفية إيدا ب. ويلز تغطية عمليات الإعدام خارج نطاق القانون التي تجاهلتها وسائل الإعلام السائدة آنذاك. كانت ويلز صحفية استقصائية أمريكية ومعلمة وزعيمة مبكرة في حركة الحقوق المدنية، ومدافعة أولى عن حقوق ذوي البشرة الملونة.

بعد ذلك، تعود الكاتبة إلى خمسينيات وستينيات القرن الماضي، لتذكّر بعجز وسائل الإعلام آنذاك عن تغطية تحركات حركة الحقوق المدنية، بسبب قلة عدد الصحفيين السود في غرف الأخبار.

يومئذ، اضطر الرئيس ليندون جونسون إلى تشكيل اللجنة الاستشارية الوطنية للاضطرابات المدنية، والتي عرفت باسم لجنة كيرنر، وذلك على خلفية حرق المدن فيما كان يُطلق عليه آنذاك "أعمال الشغب العرقية".

أصدرت لجنة كيرنر تقريرا العام 1968 انتقدت فيه التغطية

الإخبارية للعرق والسياسة، مشيرة إلى نقص التنوع في غرف الأخبار الأميركية. ورأى التقرير أن وسائل الإعلام فشلت في التبليغ عن المشاكل العرقية في الولايات المتحدة، كما فشلت أيضا في تلبية توقعات المواطنين من ذوي البشرة السمراء في الصحافة. وعلى الرغم من دعوتها الصريحة للضغط من أجل تغيير واقع غرف الأخبار، إلا أن شيديا تحذّر من أن تغطية المسائل أو المواضيع العرقية قد تكون مؤذية للصحفي أحيانا، ناقلة عن جيسي هولاند، وهي صحفية تغطي القضايا العرقية في وكالة أسوشيتد برس، تعرّضها للأذى النفسي بسبب تغطية جرائم القتل ذات الدوافع العنصرية. ترى هولاند أن البعض "قد ينظر إلى الصحفيين من ذوي البشرة الملونة بصفتهم عملاء مزدوجين، خاصة عندما يغطون القصص الصحفية التي تتناول التمييز العنصري".

"طُلب من الصحفية مرافقة مراسل شاب أبيض إلى أحد أحياء بالتيمور السوداء، لكن لم يرافقها أحد عندما غطت مجتمعات الطبقة العاملة البيضاء في أبالاتشيا"

تكتفي شيديا بالإضاءة على هذا الجانب السلبي من تغطية القضايا العرقية، لتعود وتركّز على أهمية التنوع في غرف الأخبار، مستدلة بالانتخابات الأمريكية، ربما لأهميتها باعتبارها حدثا يحوز اهتمام الرأي العام العالمي.

وتنقل الكاتبة عن نيكي مايو، من الرابطة الوطنية للصحفيين السود، أنها أمضت انتخابات العام 2008 في أبالاتشيا، ووجدت نفسها تُجر بالقوة إلى حمام الرجال أثناء تقديم تقاريرها في سباقات ناسكار في بريستول بولاية تينيسي. طُلب منها مرافقة مراسل شاب أبيض إلى أحد أحياء بالتيمور السوداء، لكن لم يرافقها أحد عندما غطت مجتمعات الطبقة العاملة البيضاء في أبالاتشيا. بعد دورتين، كان الصحفيون الأمريكيون بحاجة أثناء تغطية انتخابات العام 2016، إلى معرفة عميقة بالمجتمعات الأمريكية وناخبيها، والتقسيمات بحسب: العرق والجنس والطبقة والمنطقة والدين. وبرأيها، فشلت معظم الفرق الإخبارية في أداء هذه المهمة. لقد استعانت في هذا السياق بشهادات بعض الصحفيين، منهم روبرت صامويلز، مراسل صحيفة واشنطن بوست، وهو من ذوي البشرة الداكنة، والذي نقل ما تعرض له في أحد التجمعات الداعمة لترامب؛ حين طردته الشرطة من المكان، وأخذ الناس ينادونه بالقرد، كما تعرض لمحاولة تعذيب. أمّا كانديس سمين من قناة أي بي سي فقد تحدثت عن أنها الصحفية الوحيدة السمراء التي غطت تحركات ترامب في الميدان، (باستثناء الأسبوع الأخير من الانتخابات)، مشيرة

إلى أنها تعرضت للكثير من المضايقات.

كان مهما بالنسبة لشيديا الإشارة إلى أن أصحاب القرار غضوا الطرف عن المناشدات التي جاءت على خلفية الأحداث التي سبق ذكرها؛ فالصحفيون تحدثوا إلى المسؤولين حول البيئة

شكل اللاتينيون والصحفيون من ذوي البشرة غير البيضاء، 12 في المئة من هيئة تحرير الصحف في العام 2000. وفي العام 2016، ارتفع الرقم بشكل طفيف ليصل إلى 17 بالمئة (تصوير: كارلوس باريا - رويترز).

العنصرية المعادية بشكل متزايد خلال الحملة الانتخابية، وتم تجاهل تحذيراتهم إلى حد كبير.

على خلفية ذلك، اتصلت شيديا بخمس عشرة وسيلة إعلامية مهمة للحصول على معلومات حول الصحفيين الذين غطوا الانتخابات، لكنها لم تتلق التجاوب المتوقع؛ إذ إن أقل من الثلث فقط، وبينهم "يو اس أي توداي" و"نيويورك تايمز" و"واشنطن بوست"، قدموا البيانات المطلوبة، فيما لم يقدم الآخرون ما يكفي، والبعض لم يزودها بأي بيانات. استجابت بعض غرف الأخبار بسرعة لاستفساراها، وفي غضون وقت قصير، ردت (3) "يو ايس آي توداي" أن طاقم تغطية حملتها للعام 2016 يضم عشر نساء وثمانية رجال، ومن بين هؤلاء صحفيان لاتينيان ومراسل أمريكي من أصل إفريقي.

تعوّل الكاتبة كثيرا على التغيير الذي قد ينتج عن الإدارة أو حتى من الصحفيين أنفسهم؛ لذلك فهي تقدم

تغطية المسائل أو المواضيع العرقية قد تكون مؤذية للصحفي أحيانا (تصوير: شترستوك).

في مادتها بعض النصائح للطرفين على حد سواء: تقترح الكاتبة مثلا أن تتضمن الجوائز الصحفية الكبرى مثل بوليتزر ودوبون قدرا معينا من التنوع بصفته معيارا للفوز؛ لما لذلك من تأثير على كل من وسائل الإعلام الربحية وغير الربحية التي تتنافس على هذه الجوائز.

تقترح الكاتبة أن تتضمن الجوائز الصحفية الكبرى مثل بوليتزر ودوبون قدرا معينا من التنوع بصفته معيارا للفوز.

كما تنصح بأن يتجمع الصحفيون لتعزيز التنوع عبر تأسيس منظمات ومبادرات مخصّصة لذلك. وقد قدمت شيديا أمثلة في هذا الصدد:
أسست الصحفية الاستقصائية الحائزة على جائزة نيويورك تايمز نيكول هانا جونز جمعية إيدا ويلز الاستقصائية، وحرصت على زيادة توظيف الصحفيين من ذوي البشرة غير البيضاء، وتثقيف المؤسسات الإخبارية حول الطرق التي يمكن أن يؤدي بها التنوع إلى زيادة فعالية العمل الاستقصائي وتأثيره. واستطاعت الجمعية أن تجمع أكثر من 600 عضو من الصحفيين.

ثمة نصيحة أخرى تقدمها شيديا للصحفيين الاستقصائيين؛ فهي تحثهم على التعقّب وإعداد التقارير عن ممارسات إدارات غرف الأخبار الأخلاقية وتلك المتعلقة بالتمييز فيها، تماما كما فعلت إميلي ستيل (4)، مراسلة صحيفة نيويورك تايمز، والتي أسهمت في إنهاء مسيرة بيل أورايلي في قناة فوكس نيوز.

هكذا، فإن عملية التغيير تتطلب إجراءات واسعة تبدأ بالصحفيين أنفسهم، وعلى الرغم من الصورة القاتمة، إلا أن قدرا من الشفافية قد يساعد "أولئك الذين يرغبون في تحسين التنوع على صقل استراتيجياتهم، وربما التأثير على إدارة غرفة الأخبار التي لم تلتزم بالتغيير".

المراجع:

1- https://twitter.com/farai
2- https://linktr.ee/ourbodypolitic
3-https://shorensteincenter.org/kerner-fifty-years-later-newsroom-diversity/
4-https://www.cbc.ca/news/entertainment/emily-steel-interview-the-national-1,4628760 diversity-im-journalismus-pm

الصحفية إرين هاينز وسؤال التنوّع والشمول في غرف الأخبار

(ترجم هذا المقال بالتعاون مع نيمان ريبورتس - جامعة هارفارد)

رين هاينز، رئيسة التحرير في موقع "ذا ناينتينث"، وهي منصة إخبارية غير ربحية تغطي شؤونا تتقاطع فيها قضايا المرأة والسياسة. أُطلِقَ الموقع أثناء انتشار جائحة كوفيد-19 وفي أوج الاستعدادات لاستحقاقات رئاسية في الولايات المتحدة في آب/أغسطس 2020. أما الاسم الذي اختير لهذا الموقع غير المتحيّز لطَيْف سياسي معيّن، فيشير إلى "التعديل رقم 19" في الدستور الأمريكي، والذي منح النساء البيض في أمريكا حق التصويت، أما النجمة في شعار الموقع فتشير إلى حالة الاستثناء، وهنّ النساء السود، وجميع النساء اللواتي حُرِمن من الإدلاء بأصواتهن، وما يزلن حتى اليوم يواجهن تحديات تحول دون أن يكون صوتهنّ مؤثرا.

كتبت هاينز قبل الانضمام إلى الموقع والمساهمة في تأسيسه في مواضيع تتعلق بالعرق والإثنية على المستوى الوطني في الولايات المتحدة، لصالح الأسوشيتد برس، وقد قررت أن تكون جزءا من الموقع الجديد، ليس فقط من باب تأثرها برؤية الرئيسة التنفيذية إيميلي رامشو حول ضرورة أن تكون ثمة تغطية لشؤون النساء من قبل النساء، ولكن أيضا من أجل المساهمة في تطوير هذه الرؤية والثقافة وتعزيزهما، وهو أمر بدا ملحًّا للغاية في تلك الفترة الحرجة في البلاد وفي المشهد الإعلامي فيها. تقول هاينز: "نحن نسعى هنا إلى بناء ثقافة "جديدة" لا إلى إصلاح ثقافة تعاني من المشاكل، خاصة في تلك اللحظة من الاستحقاق الوطني. لقد كان لذلك أثر على العديد من غرف الأخبار في الولايات المتحدة، والتي تعدّ واحدة من مؤسسات هذه البلاد، وهي ليست بمنأى بطبيعة الحال عن هذا الجدل الدائر".

عملت هاينز أيضا لصالح "إم سي إن بي سي" و"واشنطن بوست" و"لوس أنجلوس تايمز" و"ذا أورلاندو سينتينل"، وقد أسهمت في تسليط الضوء على قضية "بريونا تايلور"، متمكنة من الحديث مع أسرتها ضمن تغطية موقع "ذا نايتينث" للقصّة، ونُشِرَت بشكل مشترك مع الواشنطن بوست. في هذا الحوار الذي أجراه الزملاء من نيمان ريبورتس حديثٌ عن هذه القضايا والموضوعات وغيرها.

عن أسباب الانضمام إلى "ذا نايتنينث"

قبل عام ونصف، كنتُ أتابع الحملات الانتخابية الرئاسية، وشعرتُ بالإحباط حيال الطريقة التي جرت بها النقاشات حول الجندر والعرق، وبدا لي وكأننا لم نتعلم شيئا من انتخابات العام 2016 فيما يخص السرديات التي سادت عند الحديث عن أهمية هذه الجولة من الانتخابات، وتأثيرها في حالة البلاد ومستقبلها. مديرتي الآن، إيميلي رامشو، هي التي بادرت بالتواصل معي دون ترتيب مسبق، ولم أكن أعرفها حينئذ.

أخبرتني برؤيتها بشأن إطلاق موقع إخباري، وقد أعجبتني الفكرة بالطبع، إلا أنني أخبرتها بأنني أرحب بالتعاون، في حال توفر المال لمثل هذا المشروع. فما كان من إيميلي إلا أن أخذت كلامي على محمل التحدي، فجمعت المال، ثم عادت إلي لاحقا، وقالت: "هيّا إذن، هلمّي إلينا ولنبدأ العمل".

لطالما رغبت في أن أحظى بفرصة للعمل مع الأسوشيتد برس للعمل كاتبةً مختصة بالشأن المحلي في قضايا العرق، وقد حلمت بذلك منذ أن كنتُ متدربة معهم قبل وقت طويل. لكني قررتُ أخيرا أن أترك الأسوشيتد برس، وأبدأ في هذا المشروع الجديد؛ ذلك لأنني شعرت بأن بقائي هناك لن يسهم بشكل منهجي في إحداث تغيير على بعض القضايا الجوهرية في التغطية الصحفية السياسية، وشعرت أن الطريقة الأنسب ستكون عبر البدء من جديد. وكذلك كان، فأطلقنا الموقع في كانون الثاني/يناير، قبل أسبوع من انتخابات مجالس أيوا. وبطبيعة الحال، لو كنت مراسلة تغطي الأخبار السياسية، فإن تغطية الانتخابات الرئاسية ستكون أشبه بتغطية مباراة "السوبر بول"، بل وأكثر من ذلك، بالنظر لطبيعة الاستقطاب الحاصل فيها، ما جعلني أشعر بأنها أكثر انتخابات مصيرية أقوم بتغطيتها.

> **كانت مشاركة باراك أوباما في الانتخابات الرئاسية هي ما جعل محرر الأخبار أكثر حساسية لموضوع العرق في التغطية الإخبارية، وأنه محرِّك قد يثير الاهتمام بالمحتوى الذي يقدمونه لقرائهم.**

وُجودي في الميدان متنقلة من ولاية إلى أخرى لتغطية الحملات الانتخابية، من أيوا إلى نيو هامبشر إلى ساوث كارولينا، وأنا أحمل بطاقة "ذا نايتنينث"، وشعوري بأن الكثيرين مثلي يشاركونني ذلك الشعور بمصيرية ما يجري، جعلني أدرك أننا قد انطلقنا في الوقت المناسب، وأن الموقع قد مثل حاجة ماسة في هذه المرحلة.

قصّة اسم الموقع

انطلق موقع "ذا نايتنينث" في الذكرى المئوية لمنح النساء في الولايات المتحدة الحق في الاقتراع، وهو ما احتفينا به، لكن بتلك النجمة. كان لدينا عِلْم قبل الانتهاء من تجهيز المشروع بأن إميلي ترغب في أن يكون هذا هو الاسم الذي يحمله، لكنها في الآن ذاته كانت مترددة؛ لعلمها بأن مجموعة من النساء بقين محرومات من هذا الحق وقت إقرار القانون.

اقترحتُ من جهتي أن نستخدم النجمة للإشارة إلى هذه الحقيقة، والتذكير بالنساء السود، واللواتي تمت التضحية بحقوقهن؛ إذ حصلت المرأة البيضاء على الحق بالتصويت على حساب السوداء. وقد وافق الجميع على الاقتراح. لذلك؛ نحن نتعاطى مع هذا التقاطع بين العرق والسياسة والجندر، ونعتبر أننا غرفة أخبار تقاطعية إلى حد كبير، تنظر في الروابط مع المجموعات المهمشة الأخرى وتستمع إليها.

لدينا كذلك قناعة بأن جميع القضايا هي قضايا النساء، وأننا نمثّل غالبية الناخبين، وأنه لا يمكن النظر إلينا وكأننا مجرد فئة ذات اهتمامات خاصة، وهذا ما سعينا إلى التأكيد عليه والتصرف وفقه في الأشهر التسعة الأولى من عمر الموقع. ثم حلّت الجائحة، والتي وفرت لنا في واقع الأمر عدسة إضافية في تغطيتنا تكشف

عن حالة اللامساواة القائمة، ولا سيما فيما يخص النساء والملونين وغيرهم من الفئات المهمشة في المجتمع.

وحين صارت الحملات والمهرجانات الانتخابية افتراضية بالكامل، تساءل الكثير من الصحفيين السياسيين عمّا يجب عليهم فعله في تلك الحالة.

كيف غطى الموقع قصة بريونا تايلور؟

تصاعد الاهتمام بقضية بريونا تايلور1 بالتزامن مع قضية أحمد أربيري2؛ إذ انتشر هاشتاغ (Runningwithahmaud#)، والذي حصد زخما وتفاعلا كبيرين على وسائل التواصل الاجتماعي. المحامي بين كرامب (محام أمريكي متخصص في قضايا الحقوق المدنية)، والذي تربطني به معرفة وثيقة منذ فترة طويلة تعود إلى وقت حادثة مقتل ترايفون مارتن3، اتصل بي قائلا: "هناك قضية أخرى مروّعة وبالكاد التفت إليها أحد، وأريد مساعدتك في ذلك".

أخبرني بقصة بريونا تايلور، وكانت تفاصيلها مرعبة حقة، وقال لي إنها قُتِلَت في مارس؛ أي قبل شهرين من حديثه معي على الهاتف. فقلت له: "كيف يمكن أن ينقضي شهران، دون أن يسمع أحد عن ذلك، خاصّة أنها موظفة في المستشفى، تعمل فنيّة في قسم الطوارئ؟!".

فأوضح لي أن أحدا لم يكتب عن قصتها على المستوى الوطني، و"أن أمها وأختها تشعران بالإحباط بسبب ذلك، وأنهما ترغبان في الحديث وتسليط الضوء على تفاصيل ما جرى، وأعتقد أنهما بحاجة للحديث معك".

رحّبتُ بالفكرة، وأخبرته أنني مستعدّة لذلك وقلتُ له: "سنفعل ذلك؛ لأنه يلزم أن نكتب عن قصتها. كيف يمكن أن ينتشر هاشتاغ عن مقتل أحمد، ويتفاعل الجميع مع قصته، على حساب قصة بريونا تايلور؟! هذا لا يعني أن قصة أحمد لا تستحق الاهتمام بها، لكن لا بد من الاهتمام بقدر مماثل بقصة تايلور".

لم يطل الحوار بيننا. وحين أخبرتُ الزملاء بالأمر، لم ير أي منهم أن القصة مناسبة بشكل مباشر للموقع. لكن هذا هو السر في النجمة (*) التي ألحقناها بالشعار، والتي تعبّر عنا وعن اختلافاتنا، وهكذا يصبح السؤال عن النجمة وسبب وجودها معادلًا للسؤال عن معنى "ذا ناينتينث"، وكيف يمكن لقصة مثل قصة تايلور أن تكون قصة تستحق أن تُنشَر على الموقع؟

فالنجمة بالنسبة إلي كانت تشير إلى أن "الجندر" هو أحد تلك المتغيرات التي تفسّر ضعف الاهتمام بقصة تايلور، بالإضافة طبعا إلى عدم وجود مقاطع فيديو ولا صور توضح ما حصل معها.

صحيح أن مقاطع الفيديو تضمَنُ عادة توليد قدر أعلى من الاهتمام والتفاعل؛ لما تمثله من أدلة تزيد من مصداقية القصّة وتأثيرها، وأنها تحدث بالفعل. لكن في قصة تايلور، اجتمع كونها امرأة، مع حقيقة أنها سوداء، وأن قصتها لم تحصد أي تفاعل معها بسبب عدم توفر ما يوثّق الجريمة التي وقعت عليها. وهذا كلّه أقنعني بضرورة تناول قصتها، وهو ما حصل في نهاية المطاف، وترتّب عليه زيادة الاهتمام بقصة تايلور وتصدرها في وسوم رواد وسائل التواصل الاجتماعي في الولايات المتحدة.

حصل التقرير الذي نشرناه في الموقع حول القصّة، بصفته أول تقرير يُكتَب عمّا حدث مع تايلور في الصحافة الوطنية، كان على قدر كبير من التفاعل والانتباه بين كثير من الناس؛ فراج الحديث عمّا حدث، وتزايد الفضول بشأن تلك الفتاة. وكل ذلك كان متسقا مع مهمتنا في الموقع، وبدا ما فعلناه ذا أهميّة وأثر. ولا يمكن بالطبع هنا إنكار أن القصّة الصحفية برمّتها أتت بالأساس ثمرةً لبناء المصادر لدى الصحفي، وهو ما تسنى لي القيام به عبر فترة طويلة من العمل في الميدان.

تغطية العنصرية

كانت مشاركة باراك أوباما في الانتخابات الرئاسية هي ما جعل محرر الأخبار أكثر حساسية لموضوع العرق في

التغطية الإخبارية، وأنه محرِّك قد يثير الاهتمام بالمحتوى الذي يقدمونه لقرائهم. إلا أنهم أساؤوا التقدير، حين صدّق بعضهم أسطورة "ما بعد العنصرية"، وأن انتخاب أوباما رئيسا للولايات المتحدة يدلّ على نهاية هذه المسألة أمريكيا. لكنّنا في الواقع نعرف تماما الآن، أن ما حصل مع أوباما قد أطلق موجة من الوعي بمعضلة جوهرية مسكوت عنها منذ وقت طويل، حتى قبل الانتخابات.

وحتى قبل أن أتولى بشكل رسمي مهامي بصفتي كاتبة عن الشؤون العِرْقية على المستوى الوطني في الولايات المتحدة مع الأسوشيتد برس، تشكّل لدي اعتقاد بأن العرق مسألة غير محسومة بعد في هذه التجربة الديمقراطية، وأنها سمة أساسية للحياة الأمريكية، وعصب مركزي في العمل الصحفي؛ لأنها تكاد تمسّ كل جوانب الحياة. ومع ذلك لم أشعر أن تلك التغطية ستصنّفني في خانة معينة، أو أنّها ستؤثر على مسيرتي المهنية سلبا بشكل أو بآخر.

أما الآن، فأشعر في عملي كصحفية سياسية، بأنه من الأسهل تعلم تغطية الشأن السياسي مقارنة بتغطية قضايا العنصرية، وهذا أمر يمكن ملاحظته أثناء متابعة التغطية السياسية؛ فمعظم هؤلاء الناس ليست لديهم أي فكرة عما يجب عليهم النظر إليه عند التعامل مع سؤال العرق وتمظهراته في القضايا السياسية، برغم مركزية هذه القصّة في الوقت الحاضر.

إلا أنني لم أتردد يوما في تبني زاوية النظر هذه، وربما يعود ذلك إلى الدافع الذي جعلني أختار هذا العمل في الصحافة في المقام الأول؛ فقد بدأت مسيرتي في أطلنطا، مع مجلة "أطلنطا ديلي وورلد" الأسبوعية، وكنت ما أزال حينئذ طالبة في الجامعة، أبحث عن فرصة لاكتساب خبرة عملية. توجهت إلى المجلة وقلت لهم إنني قادرة على المساعدة، فوافقوا مباشرة وقالوا لي: "هل يمكن أن تبدئي اليوم؟" وافقت بالطبع، وتعلمت في ذلك العام الذي قضيته هناك أن قصصنا كانت مهمّة.

"أمضيتُ حيزا كبيرا من حياتي وعملي وأنا أحاول التفكير بمعنى أن تكون أسود في أمريكا، إلا أن الأمر تضاعف الآن، بإضافة مسألة الجندر، ومعنى أن تكوني امرأة في أمريكا، ثم الورطة الكبرى، بأن تكوني امرأة سوداء في أمريكا!"

إن الكتابة عن السود تتمثل في تناول شؤونهم العامة في نطاق واسع من القضايا، وليس مجرد تناول أخبار الحوادث المأساوية أو تسليط الضوء على ما هو سلبي وحسب، بل معالجة مختلف شؤون حياتهم. وتصدُّرُ قصصهم الصفحة الأولى في تلك الصحيفة، علّمني بأن قصصنا لها أهمية وذات معنى، وأن تناولها ومعالجتها صحفيا لا يحتاج تسويغا استثنائيا.

هذا كان ديدني طوال مسيرتي المهنية، وقد حصدتُ فائدة كبيرة من وراء ذلك. ثم بعد سنوات عديدة، حظيتُ بهذه الفرصة لأكون ضمن فريق "ذا نايتينث"، وأتيحت لي للمرة الأولى ترف التفكير في الجندر بنفس الطريقة التي أفكر بها بالعرق.

حين نتحدث عن النسوية، وكيف أنها نطاق اهتمام وانشغال النساء البيض، فإن ذلك عائد إلى أنهنّ (أي النساء البيض) لا ينشغلن بالتفكير بمسألة العرق كثيرا؛ فينصَبّ تركيزهن على مسألة الجندر، إلى حدّ أن تصبح عدسة ثقيلة لرؤية الأشياء من خلالها.

أما بالنسبة لي، فقد أمضيتُ حيزا كبيرا من حياتي وعملي وأنا أحاول التفكير بمعنى أن تكون أسود في أمريكا، إلا أن الأمر تضاعف الآن، بإضافة مسألة الجندر، ومعنى أن تكوني امرأة في أمريكا، ثم الورطة الكبرى، بأن تكوني امرأة سوداء في أمريكا!

أهمية التمثيل الشمولي في غرفة الأخبار

التجربة في العمل مع "ذا نايتينث" وبناء هذا الموقع رسّخت لديّ مدى أهمية التمثيل؛ حيث كنا بفضل الوعي بهذا المعيار قادرين على خلق فِرَق عملٍ أكثر تنوعًا من الصحفيين السياسيين مقارنة بمعظم المشاريع الأخرى. ولم تمض تسعة شهور على عمر الموقع حتى صار عدد الفريق أكثر من 24 صحفيا وصحفية، بعد أن بدأنا بفريق صغير من تسعة أفراد فقط.

كما توسعنا بشكل خاص خلال فترة الجائحة، وتمكنا من أداء مهامنا بفضل فريق أكثر تنوعا، ويُعدّ النجاح في ذلك دليلا إضافيا على أنه لا شيء يحول دون تحقيق شرط التنوّع في التغطية الصحفية؛ فهؤلاء الأشخاص موجودون من حولنا وبوفرة أيضا، وإمكانية التواصل معهم والوصول إليهم متاحة، ولا يمكن التذرع بأي حجة لتغييب هذا التنوع.

كما أننا كثيرا ما نسمع أشخاصا يقولون إنهم يجدون أنفسهم في هذه التغطية، بمعنى أنهم يجدون تعبيرا عن أنفسهم من خلالها، وإن صوتهم حاضر في الحوارات التي نخوضها والاتجاهات التي نود أن نسلكها، على نحو لم يجدوه في وسائل إعلام أكثر عراقة وأكثر تسيّدًا. يعني لنا ذلك الكثير؛ لأن هذا أحد أسباب وجودنا، خاصة أن شبكة مراسلينا لا تتركز في واشنطن وحسب، بل تتوزع في مختلف أرجاء البلاد.

ينعكس هذا التنوع إيجابا على وجهة النظر في عملنا الصحفي، وأعتقد أن جزءا من ذلك يتعلق كذلك بمعرفة القيمة في تجارب الناس وتقدير أهميتها للصحفي.

> **"أنوّه إلى خطورة أن يتسلل إلى الزملاء في هذا المجال ما يمكن أن أصفه بـ "إعياء الوعي العرقي"، حيث يصل الصحفي بعد اهتمام استمر ثلاثة شهور مثلا إلى مرحلة من التعب."**

أفكار حول التمويل

بالنسبة لنماذج التمويل، فإننا في "ذا نايتينث" نؤمن بنموذج العمل غير الربحي بالنسبة لغرف الأخبار، ونشعر أن هذا هو المستقبل. لقد منحنا ذلك بعض المرونة والقدرة على التأقلم السريع وتطوير قدرتنا على استغلال الدعم المالي المتوفر لصالح غرفة الأخبار. تجاوزنا التوقعات فيما يخص الدعم الذي تمكنا من تحصيله من عدد من الجهات الخاصة والخيرية، إضافة إلى التبرعات السخية الصغيرة من بعض الأفراد الذين لديهم إيمان بما نفعل ويرغبون في دعم الصحافة التي نمارسها. وقد كنا واضحين منذ البداية بأن عملنا الصحفي متاح للجميع مجانا للراغبين بقراءته أو بإعادة نشره.

إلا أن هذا لا يمكن أن يحصل من دون دعم من شبكة من المموليين الذين حرصنا على التواصل معهم منذ اليوم الأول، كما أنّه لدينا دعم من بعض الشركات، إلا أنه ليس مصدر تمويل رئيسا يمكن الاكتفاء به. ولم يكن التمويل ليكون بهذه الوفرة لولا الظروف التي فرضتها الجائحة.

حول ممارسة التنوع والمساواة والشمول

عرفنا مبكرا الوصفة اللازمة من أجل تعزيز التنوّع في التغطية وفي غرف الأخبار. وقد أوضحت لجنة كيرنر4 جميع ما يلزم في هذا الصدد، وعلينا أن نعيد الاهتمام بتلك الوثيقة من جديد، ونلتزم بالتوصيات التي اشتملت عليها، وهي نقطة انطلاقة مهمّة لكل معنيّ بمسألة التنوّع.

العنصر الأساسي هنا هو وجود الرغبة والعزم الصادق على تحقيق التنوع. أعتقد في هذا السياق مثلا أن ما تقوم به صحيفة لوس أنجلوس تايمز لافت ويستحق التعلّم منه؛ إذ يبدو أنهم يتعاملون مع المسألة بشكل جدي؛ فمديرة مكتب الصحيفة في واشنطن حاليا هي كيمبريل كيلي، وهي

من أصول أفريقية، وهذا أمر في غاية الأهمية.

كما نشرت الصحيفة مؤخرا سلسلة ضخمة تتناول المسألة العرقية، حيث تحلل الصحيفة أرشيف تغطيتها في السابق ومقاربتها لهذا العمل، إضافة إلى كواليس وثقافة غرف الأخبار فيها، وهذه خطوة بالغة الأهمية في مسيرة الصحيفة، ومن المهم كذلك أن تدرك غرف الأخبار أن هذه مسيرة بالفعل.

وأودّ أن أنوّه هنا إلى خطورة أن يتسلل إلى الزملاء في هذا المجال ما يمكن أن أصفه بـ "إعياء الوعي العرقي"، حيث يصل الصحفي بعد اهتمام استمر ثلاثة شهور مثلا إلى مرحلة من التعب، يقول عندئذ إن الأمر صعب ولا يمكن تداركه، وإن من المستحيل الاستمرار في هذه المسيرة. إن كنا جادين حقا في معالجة هذا الواقع، فعلينا أن نعترف بأننا جميعنا ما زلنا في بداية رحلة العلاج، وأن الأمر لا يتعلق بنشر تغطية ما في فترة من العام، ثم التعامل مع ذلك بصفته مسوغا للتوقف عن الاهتمام بالأسئلة الصعبة المتعلقة بالتنوع.

لا بد أن يكون العمل متواصلا على هذه الجبهة وفق التزام عميق وثابت، يبدأ من الاعتراف الصادق بحجم المشكلة، والتواصل مع الفئات المهمشة في غرف الأخبار على مستوى الكوادر والتغطية. فإن لم يكن في فريقك التنوع الكافي، فعليك أن تسأل نفسك عن السبب الذي يمنع من تحقيق ذلك، وما الخطوات التي ستتخذها من أجل تدارك الأمر.

لا يعني ذلك بالطبع أن نعمد إلى تسريح الزملاء البيض ونفصلهم من العمل. بل المطلوب هو أن تكون صريحا بشأن الالتزام بتوظيف المزيد من الصحفيين والصحفيات من خلفيات متنوعة، وإضافة أشخاص إلى كادر العمل لتعزيز التنوع بما يعكس حقيقة المجتمع الذي نعيش فيه، وهذا هو التحدّي الأساسي.

> **لا بد أن يكون العمل متواصلا وفق التزام عميق وثابت، يبدأ من الاعتراف الصادق بمشكلة غياب التنوع، والتواصل مع الفئات المهمشة في غرف الأخبار على مستوى الكوادر والتغطية.**

كثيرا ما أجد نفسي أقول "علينا أن نتذكر ضرورة إعادة التفكير بالهويّة "البيضاء" ووضعها باستمرار تحت طائلة المساءلة النقدية في هذا العصر. علينا أن نسأل أنفسنا، ما الذي يعنيه أن تكون مواطنا أبيض في أمريكا الآن؟ وأن نعرض الحقائق كاملة فيما يخصّ المسألة.

وكثيرا ما أتلقى استفسارات من صحفيين بيض يسألونني عمّا إذا كان يجدر بهم تغطية قصص معينة في مجتمعات ملونة، فأقول لهم: إن كنتم مهتمين بمسألة العرق، فلم لا تبدؤون من مجتمعاتكم؟ فثمة الكثير من القصص التي يمكن أن تخرجوا بها لو أردتم تسليط الضوء على هذا الموضوع.

هذا خيار تحريري يلزم غرف الأخبار أن تبدأ بالتفكير به، دون الاقتصار على المجموعات المتطرفة، بل مجمل البيض، ورأيهم في هذه الديمقراطية وكيفية أثرها عليهم وعلى سلوكهم في المجتمع وتعاطيهم مع المختلف فيه.

عن الوصول إلى جميع النساء

نلتزم في "ذا ناينتينث" بمحاولة أن نكون صوتا لجميع النساء، من مختلف الأطياف والتوجهات والخلفيات، ولا سيما من نعتقد أنهنّ حريصات على الانخراط الصادق في حوارات بناءة بشأن هذه الديمقراطية. ثمة من يتخذون مواقف متطرفة بطبيعة الحال، ولسنا معنيين بهؤلاء؛ لأنه مهما كانت القصص التي نكتبها متنوعة، ومهما حاولنا العناية بالتنوع والشمولية، فإن هذه الفئة من الأشخاص ستبقى عصية على الإقناع والحوار الإيجابي، ونقر بهذا من منطلق واقعيّ.

ما نؤمن به أننا حريصون، كلّ الحرص، على الوصول إلى جميع من هم خارج لعبة الاستقطاب المتطرف من كلا طرفي الطيف، وهذا الحرص هو ما نشعر بأنه ضائع على المستوى العام، في ديمقراطيتنا، كما هو ضائع في عالم الصحافة.

الجزيرة في قلب ربع قرن من الجدل

”حمّلَنا الجمهورُ العربي أكثر من طاقتنا كقناة إعلامية“

محمد أحداد

في 1 نوفمبر/تشرين الثاني سنة 1996، دشنت قناة الجزيرة خطوتها الأولى في مسيرة ستمتد لـ 25 سنة. كان محمد كريشان، إلى جانب ثلة من الصحفيين العرب، واحدا من المؤسسين الأوائل للقناة التي ستشكل جزءا من المخيال الجمعي العربي. وقتها، كان الإعلام الرسمي العربي هو الصوت الأعلى، ولم تكن التجربة العربية في الصحافة قد حققت تراكما. يعيد كريشان في هذه المقابلة، بناء حكاية الجزيرة، مقيما تجربتها، الانتقادات الموجهة لها، صناعة قرارها التحريري، ومستقبلها في الحفاظ على مهنيتها دون فقدان ميزتها: الانحياز للشعوب المقهورة.

”أهلا بكم في أول نشرة أخبار من قناة الجزيرة“، كانت أول عبارة دشن بها الصحفي جمال ريان مسار قناة ستصبح في قلب الجدل لمدة ربع قرن.

قبل تأسيس قناة الجزيرة، كانت ثمة رواية واحدة لما يجري في ساحتنا العربية وفي العالم، زاوية واحدة، قصة واحدة؛ إما أن يرويها الإعلام الغربي بمنظار الاستشراق والأكاذيب أيضا كما حدث في حرب العراق، أو أن ترويها السلطة العربية الغارقة في الاحتفاء بالخطاب الرسمي. لكن فجأة ظهر صحفيون بسحنات عربية، يوثقون من الميدان الحرب الأمريكية على أفغانستان، ويرابطون في مدن العراق وبلداته بصفتهم شهودًا دفعوا ضريبة نقل الحقيقة (الشهيد طارق أيوب أنموذجًا).

الآن، وبعد مرور ربع قرن من مخاض التأسيس، كيف نقيم هذه التجربة؟

”أعتقد أن الجزيرة بعد كل هذه السنوات تحتاج إلى وقفة تأمل؛ لأننا مررنا بمراحل مختلفة، بعضها كان سهلا ومحل إجماع، والبعض الآخر كان مثار جدل واختلاف“، يقول كريشان وهو يحاول أن يرسم ملامح 25 سنة من عمر قناة كان من بين أبرز مؤسسيها.

بالنسبة لكريشان، يتمثل جوهر الإشكال في التعامل مع قناة الجزيرة في أن الجمهور كان يقيمها بناء على تحيزات عاطفية وليست صحفية؛ ”فثمة من يحبها ويعشقها، وثمة من يناهضها ولا يقبل بها، وميزتها تكمن بالأساس في هذا التناقض والقدرة على إثارة الجدل فيما تبثه أو ما لا تبثه، والاختلاف حول تقييمها“.

حرصت الجزيرة طيلة 25 سنة من مسيرتها أن تنحاز بشكل واعي
إلى قضايا الشعوب المضطهدة (صورة خاصة).

الجمهور العاطفي والمساءلة السياسية

كثيرا ما كان الأفق السياسي لقناة الجزيرة في صلب الانتقادات التي توجه إليها، بيد أن كريشان يرى أن "القناة ابنة هذه البيئة العربية وابنة تناقضاتها، ولا يمكن أن ترتفع عن الواقع. وبشكل ما، كان الأفق السياسي حاضرا، برغم أن انحيازنا لطرف معين كان واعيا ومفكرا فيه، فعندما تنتفض الشعوب ضد الاستبداد والفساد والدكتاتورية، ينبغي أن ننحاز للشعوب المضطهدة".

يحاول كريشان أن يحدد جذور النظر إلى تجربة الجزيرة بأنها "فاعل سياسي"، قائلا: "أعتقد أن دفاعنا عن سيادة العراق وعن حقوق الشعب الفلسطيني في مواجهة المحتل، وانخراطنا في لحظات الانتفاضات العربية ضد الظلم، كانت من اللحظات المفصلية التي نظر فيها الجمهور العربي إلينا بأننا فاعل سياسي. هل كنا نريد ذلك؟"

بعد الربيع العربي وضع الجمهور العربي تجربة الجزيرة تحت مجهر المساءلة "السياسية" بمبرر أنها كانت محفزا للثورات وصوتا أصيلا لها. لذلك؛ يعتقد كريشان، وهو يجيب عن السؤال الذي طرحه سابقا، أن الاندفاع السياسي لتأييد قضية ما قد يكون مقبولا بل ومحببا جماهيريا وعاطفيا، لكن من الناحية الصحفية فإنه يسائل في الجوهر المعايير الأخلاقية والمهنية.

هذه المساءلة يمكن قراءتها، بحسب كريشان، في منحيين: أما المنحى الأول، فهو أن التوقعات السياسية حملت الجزيرة أكثر من طاقتها، وفي كل مرة كان الجمهور يطالب برفع السقف، وهنا سنحاسب بصفتنا منصة سياسية لا منصة صحفية، "وإذا سألتني، ماذا أفضِّل؟ لن أتردد: أريد أن تكون المساءلة مهنية من معارضين بدلا من أن تكون مدحا سياسيا من مؤيدين".

في المنحى الثاني، يقر كريشان أن الجمهور العربي صعب وعاطفي: "في تقديري الخاص فإن الجزيرة أو أي مؤسسة إعلامية أخرى يجب أن تتبنى معاييرها التحريرية والأخلاقية بعيدا عما يريد الشارع، بمعنى أدق: ألا تتحول إلى منصة لما يطلبه المشاهدون. هذا خطر، ويمكن أن تستقرئ تغير المواقف من تغطية الجزيرة للثورة السورية، فاليوم معك ويمجدونك ثم في اليوم الموالي يدبجون "نشيدا" من الشتائم".

الربيع العربي.. الانحياز الواعي

حين أحرق البوعزيزي نفسه في تونس، واحترقت معه الكثير من الأنظمة العربية، كان صوت فوزي بشرى مرادفا لنهاية الأنظمة: "اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية..."، "تتشابه مصارع الطغاة خلعة وقتلا..."، وكان صحفيو الجزيرة بمثابة صوت للثورة.

خلال تلك السنوات التي تلت إسقاط أنظمة مبارك وبن علي وصالح، وصلت الجزيرة لذروة مجددها، وقد رأى الجمهور أنها انحازت إليهم ضد "العصا الغليظة" للسلطة.

لم يكن، وفق كريشان، سهلا أن تنأى الجزيرة بنفسها عن المشهد أو تبتر الحقيقة أو تخفي انحيازها، لكن لعنة السياسة ظلت تطاردها بعد أن أحكم الاستبداد قبضته من جديد واستعرت تمزقات

الجزيرة كانت دائما في قلب الحدث سواء غطت الأحداث أو لم تغطها (صورة خاصة).

وحروب أهلية. "لقد حملونا المسؤولية عما جرى، وكأننا نحن المسؤولون! وهذا هو درس الربيع العربي: لن تبقى دائما محط إعجاب".

يتمثل جوهر الإشكال في التعامل مع قناة الجزيرة في أن الجمهور كان يقيمها بناء على تحيزات عاطفية وليست صحفية.

طيلة 25 عاما، حاولت الجزيرة التأسيس لتجربة عربية بمنأى عن نظرة وسائل الإعلام الغربية انطلاقا من صميم التجربة المحلية، وبينما كان تلميع صورة "الزعيم" هو "الخط التحريري الثابت في العالم العربي، اكتشف الجمهور منصة تتحدث عن الاعتقالات وتراجع الحريات ومعاناة الحياة اليومية للناس وضرب القدرة الشرائية وغير ذلك. لم يكن مشهدا مألوفا أن يتابع الجمهور العربي الناس تسحل في الشوارع أو تتحدث عن معاناتها وعذاباتها في السجون..."

من هذه الرؤية، يؤسس كريشان تقييمه للتجربة الإعلامية لقناة الجزيرة: "مارسنا دورنا في مراقبة السلطة بأقصى ما أمكننا ذلك، لم نكن وحدنا طبعا، صحيح أنه ينظر إلى الصحافة في العالم العربي بمثابة خط الدفاع الأخير أمام انهيار السلطتين التشريعية والقضائية، لكننا في الأصل قناة إعلامية، ويجب أن نحاسب على هذا الأساس".

البعض يعتقد أن القرار التحريري في قناة الجزيرة يتخذ في «غرفة سوداء» تعج بـ «الأشرار» (صورة خاصة).

ويقول بعبارات واضحة لا تحتمل التأويل: "لسنا حزبا سياسيا ولا طلائع هذه الأمة ولا نخبتها المناضلة، نحن في النهاية وسيلة إعلام. الناس أحبوا الجزيرة لأنهم رأوا فيها الأنموذج الأقرب لما يريدونه، لكن الحقيقة أنه من الصعب أن تعمل لمدة ربع قرن وتبقى دائما محل إجماع من الجميع، بل هذا مستحيل تقريبا".

«أريد أن تكون المساءلة مهنية من معارضين بدلا من أن تكون مدحا سياسيا من مؤيدين».

مستقبل "غرفة الأشرار"

"الذين ينتقدون بقسوة تجربة الجزيرة يعتقدون أننا نشتغل في غرفة مظلمة يجتمع فيها حفنة من الأشرار؛ يخططون، يفصلون، يدبرون، ثم في اليوم التالي يقررون تغيير العالم". يرفض كريشان هذه الأطروحة، موضحا أن "القرار التحريري في الجزيرة يصنعه صحفيون أكفاء؛ فالبعض، مثلا، يرى أن تغطيتنا لأحداث أفغانستان وللانتخابات الأمريكية -على سبيل المثال لا غير- مبالغ فيها جدا، والبعض، وهم كثيرون، مؤمنون أن هذه التغطية كانت مهنية وتستحق التنويه. إنه في النهاية قرار تحريري ينم عن رؤية معينة للأحداث".

وعن مسار القرار التحريري داخل قناة الجزيرة، يستبعد كريشان كل ما يُروَّج عن نظرية المؤامرة: "نسعى قدر الإمكان بصفتنا صحفيين ومذيعين أن تكون التغطية مهنية وموضوعية ومتوازنة ومنصفة تفسح المجال لمختلف الآراء". لكن، يستدرك في موضوع شرح ارتباط القرار التحريري للجزيرة بالدولة التابعة لها: "ففي النهاية، هذه وسيلة إعلام تابعة وممولة من دولة عربية، ثم هكذا فجأة ودون أي بناء منطقي، تطلب من هذه القناة أن تشتغل وكأنها في

النرويج أو في السويد أو القطب الشمالي، بعيدا عن التجاذبات وإكراهات الحسابات الإقليمية والدولية، كأنك تطلب من مولود يولد في العالم العربي وينشأ تنشئة عربية أن يكون بقناعات غربية".

الاتهامات بأن القرار التحريري يصنع خارج غرفة التحرير، لا يجد لها كريشان أي تسويغ مهني. داخل قناة الجزيرة: "نعود لنقطة البداية، إلى التقييم السياسي؛ لأن الساحة العربية تمُوج بالاختلافات والانقسامات، والوسيلة الإعلامية التي تشتغل في هذا الفضاء لا يمكن إلا أن تكون في قلب الخلافات السياسية، حتى لو لم ترد ذلك، على هذا الأساس تجد البعض يقول إن القرار التحريري يصنع في غرف سوداء".

> **الجزيرة قناة عربية ولدت في بيئة عربية وممولة من دولة عربية ثم يطلبون منها أن تشتغل وكأنها في النرويج. الجزيرة ابنة سياقها السياسي والثقافي.**

بناء على كل ذلك، فإن قناة الجزيرة من منظور كريشان هي "بنت بيئتها وسياقها، وبنت المنطقة التي تنتمي إليها، ولا يمكن أن تطلب منها أن تكون كاملة الأوصاف فالكمال لله".

أما وأن الجزيرة قد راكمت خبرة تمتد لـ 25 سنة، كيف يبدو المستقبل؟

السؤال في نظر كريشان صعب ومعقد؛ صعب لأن الجواب عليه سيعيدنا إلى نقطة البداية: "لن يكف الجمهور العربي عن تقييمها كمنصة سياسية طالبا منها التحول إلى فاعل سياسي"، ومعقد؛ لأنه بعد ربع قرن من التجربة، "ستصبح الجزيرة مُطعّمة بالكامل، بمعنى علينا أن نبقى صحفيين دون فقدان القدرة على الانحياز للشعوب المقهورة.. لا تستهينوا بهذا التحدي".

واكب محمد كريشان خلال ربع قرن التحولات التي عرفتها قناة الجزيرة (فادي الأسعد - رويترز).

الصحفيون الفلسطينيون والرقابة الذاتية

لندا شلش

حين تمارس السلطة القمع ضد الصحفيين، يلجأ الكثير منهم إلى تنمية الشعور بالرقابة الذاتية، فيتحول «الخوف» من السجن والمضايقات إلى «رقيب تحريري». في فلسطين، لا يواجه الصحفيون قمع الاحتلال فقط، بل قمع السلطة الفلسطينية وقدرة القضاء على «تأويل» و«تمطيط» فصول القانون التي ترسم حدود ممارسة المهنة لتضيع الكثير من الحقائق والسبب: الرقابة الذاتية.

"الجبن الفكريّ في هذا البلد هو أسوأ عدو يواجهه الكاتب أو الصحفي، ولا يبدو لي أنّ هذه الحقيقة قد حصلت على النقاش الذي تستحقّه".

كانت هذه المقولة جزءا من مقدمة كتبها "جورج أورويل" لكتابه "مزرعة الحيوان" العام 1945. لم تُطبع تلك المقدمة، وظلت مجهولة حتى نشرتها مجلة "نيويورك تايمز" العام 1972 بعنوان "حرية الصحافة". في هذه المقدمة، ينتقد "أورويل" ما أسماه بالجبن الفكري في بلده بريطانيا، ويعُدّه أسوأ عدو يواجه الصحفي أو الكاتب. أما السبب الحقيقي لهذا الانتقاد فكان بسبب رفض العديد من دور النشر طباعة كتاب "مزرعة الحيوان" الذي ينتقد فيه الاتحاد السوفياتي والشيوعية بطريقة ساخرة.

ويُشير "أورويل" إلى أن الامتناع عن النشر لم يكن نتيجة خوف دور النشر من الحكومة، بل من الرأي العام. ما واجهه الكاتب البريطاني من رقابة آنذاك، يذكّرُنا بمعضلة الرقابة الذاتية التي تواجه الكثير من المجتمعات في عالمنا اليوم، وتشكل سيفا مسلطا على رقاب الصحفيين والمؤسسات الإعلامية.

لا تمثل حرية التعبير عن الآراء والأفكار مجرد حق من حقوق الأفراد الأساسية، بل تُعد وسيلةً لتبادل الآراء بين الناس، ولإثارة النقاش حول القضايا المختلفة، ما يسمح بالتدفق الحر للمعلومات وإعلام الناس بالأحداث والقضايا التي تهمهم. على هذا الأساس، تشكل الرقابة الذاتية في العمل الصحفي تهديدا لحرية الرأي والتعبير وتقيد وصول المعرفة للآخرين؛ فتتحول الصحافة إلى علاقات عامة ودعاية للنظام السياسي، بدلا من أن تمارس دورها بصفتها سلطة رابعة في المجتمع. وإذا كانت السلطة هي من تمارس الضغوطات، فإن الصحفيين في فلسطين يخضعون لضغوطات من جهات عديدة تفرض عليهم الرقابة الذاتية.

رقابة عالية وحريات ضعيفة

إذا درسنا الوضع في فلسطين، سنجد أن مقياس الرقابة الذاتية في أعلى مستوياته؛ ففي دراسة أجراها المركز الفلسطيني للتنمية والحريات الإعلامية "مدى" في السنوات

الأخيرة، تبين أن 80٪ من الصحفيين الفلسطينيين يمارسون الرقابة الذاتية على أنفسهم، وهو مستوى يُنذر بالخطر؛ لما تشكله الرقابة من مساس بحرية التعبير وحق الجمهور في المعرفة، بالإضافة إلى تأثيرها على دور الصحافة المُنتظر نحو المجتمع. وفي تقرير "مراسلون بلا حدود" 2021 احتلت فلسطين المرتبة الـ 138 في التصنيف العالمي لحرية الصحافة، فيما احتلت دولة الاحتلال الإسرائيلي المرتبة الـ 86.

من ناحية الشكل، تظهر الصحافة الفلسطينية على أنها تتمتع بقدر عال من الاستقلالية والحرية؛ ففي الضفة الغربية وقطاع غزة ثمة ما يزيد عن 80 محطة إذاعة وتلفزيون.

وبالرغم من هذا الكم من وسائل الإعلام المحلية، إلا أنها تفتقد للكثير من المهنية أو التميز والتفرد، خاصة حينما يتعلق الأمر بطرح قضايا سياسية واجتماعية حساسة؛ مثل ملفات الفساد والمحسوبية وقمع الحريات. بالإضافة إلى ذلك، لا تمثل وسائل الإعلام الفلسطينية مصدر المعلومات الأول للفلسطينيين، بل تعتمد قطاعات واسعة من المجتمع على وسائل الإعلام العربية لمتابعة قضيتهم الجوهرية. أما المثير للاستغراب فهو أن الكثير من المؤسسات الإعلامية الفلسطينية نفسها، تعتمد على ما يصدر من الصحافة الإسرائيلية فيما يتعلق بالأحداث ذات العلاقة بالسلطة الفلسطينية وعلاقتها بالاحتلال الإسرائيلي.

وأهم الأسباب وراء ضعف المحتوى الفلسطيني تكمن في الرقابة الذاتية التي يمارسها الصحفيون والمؤسسات الصحفية على أنفسهم أثناء ممارسة المهنة. فلماذا يلجأ الصحفيون إلى الرقابة الذاتية؟

الرقابة الذاتية تعني أن يتحكم الصحفي بما يقوله أو يكتبه كي يتجنب المحاكمات أو المضايقات، دون أن يخبره أحد بضرورة القيام بذلك (تصوير: أندرو بورتون - غيتي).

الرقابة الذاتية.. لعبة السلطات الذكية

بداية، تمثل الرقابة الذاتية – Self-censorship – أحد أهم القيود على حرية التعبير. وهي تعني أن يتحكم الصحفي بما يقوله أو يكتبه كي يتجنب المحاكمات أو المضايقات، دون أن يخبره أحد بضرورة فرض هذه الرقابة على نفسه. ما يعني أن الرقابة الذاتية طوعية، يمارسها القائم بالعمل الصحفي بمحض إرادته بسبب الخوف، مما يمنع من ظهور قصص تنتمي إلى صميم مراقبة السلطة.

يُنظر إلى الرقابة الذاتية -في نطاق واسع- على أنها تهديد لحرية الإعلام، وتعد أكثر أشكال الرقابة تهديدا للصحفيين وخطرًا على مهنتهم. وتتحول الرقابة الذاتية إلى قضية إشكالية عندما يتم إخفاء معلومات مهمة يجب أن يعرفها الجمهور، لمساعدته على الاختيار واتخاذ القرار في بعض الأحداث المهمة؛ كالانتخابات مثلا.

يمارس الصحفيون الرقابة الذاتية بسبب ضغوطات من جهات مختلفة؛ مثل الحكومات ووزارات الإعلام والمصالح المالية والأعراف الاجتماعية. ويُجادل نعوم تشومسكي وإدوارد سعيد بأن ملكية الشركات لوسائل الإعلام تسبب الرقابة الذاتية في اختيار القصص الإخبارية وكيفية تأطيرها، من أجل أن تتناسب مع مصالح مالك الشركة.

"في دراسة أجراها المركز الفلسطيني للتنمية والحريات الإعلامية «مدى» في السنوات الأخيرة، تبين أن 80٪ من الصحفيين الفلسطينيين يمارسون الرقابة الذاتية على قصصهم."

تمارس النيابة العامة والقضاء رقابة خفية على الصحفيين عبر اللجوء إلى «تأويل» فصول القانون لمعاقبة المزعجين (تصوير: أختار سومرو - رويترز).

في فلسطين، تمثل الرقابة الذاتية لعبة ذكية كما يعلق عمر نزال، عضو مجلس الأمانة العامة في نقابة الصحفيين. يقول نزال: "تلجأ السلطة إلى الرقابة الذاتية للهروب من الضغوط والانتقادات الدولية، من خلال التظاهر باحترام الحريات الصحفية وفق الدساتير والقوانين الدولية، لكنها في الوقت نفسه، تحدد سقف الحريات العامة بصورة غير مُعلنة، وتلاحق كل من لا يلتزم بها".

جهات ضغط متعددة

تعود أهم الأسباب التي تدفع الصحفي الفلسطيني لممارسة الرقابة الذاتية على نفسه إلى خوفه من المساءلة والملاحقة. وجِهات الرقابة في فلسطين متعددة: رقابة مؤسساتية تحريرية، تتعلق بفرض المؤسسات الإعلامية أو المشغل رقابة على ما ينشره الصحفيون العاملون لديهم؛ بحيث لا يخالف الصحفي السياسات التي تسير عليها المؤسسة التحريرية أو سياسة الممول الذي يقدم الدعم للمشغل. في هذه الحالة يصبح الصحفي مسلوب الإرادة، وخاضعا لإدارة المشغل وقواعده التحريرية. وفي حال فكر خارج السرب، فإنه إما أن يخسر عمله أو يواجه العقاب.

أما الجهة الثانية فتتمثل بالسلطة التنفيذية بأذرعها المختلفة؛ فعلى الرغم من تصريحات السلطات التنفيذية الدائمة باحترام الحريات الإعلامية في فلسطين، إلا أن السلطة وأجهزتها، واقعيا، تفرض قيودا غير معلنة على الصحفيين؛ فإذا لم يتبعوها، يتعرضون للتهديد والملاحقة. وتتمثل الجهة الثالثة في القضاء والنيابة العامة اللتين تمارسان رقابة خفية على الصحفيين وتتخذان بحقهم إجراءات تعسفية؛ مثل الاستدعاء والتحقيق والتوقيف. مع ذلك؛ فإن شيوع ظاهرة الرقابة الذاتية لا يرتبط بالجهات الرسمية والمؤسسات التحريرية فقط، بل قد يكون نتيجة مخاوف مصدرها رجال الأعمال والمموليـن والنقابات، فضلا عن رقابة المجتمع ضمن ما يُعرف بـ "الأعراف الاجتماعية الضاغطة"، خاصة حينما يتعلق الأمر بـ "التابوهات" والمحرمات المجتمعية؛ فمن غير الممكن أن يتناول الصحفيون بعض القضايا المجتمعية الحساسة؛ مثل القتل على خلفية الشرف، والعنف المنزلي، والاغتصاب... إلخ. إن تناول مثل هذه القضايا قد يُعرّض الصحفيين لتهديدات تصل إلى حد الخطف أو القتل، أو المقاطعة المجتمعية للصحفي وعائلته. ويشكل الاحتلال الإسرائيلي جانبا مهما من جوانب الضغط على الصحفيين الفلسطينيين من خلال فرض رقابة أمنية عليهم؛ إذ لا يُسمح للصحفيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بدخول مدينة القدس والأراضي المحتلة العام 1948، كما لا تعترف ببطاقاتهم الصحفية في كثير من الأحيان. إلى جانب ذلك، يتعرض الصحفيون للقتل والضرب والاعتقال ومنع السفر ومصادرة معداتهم لمجرد تغطيتهم للأحداث المتعلقة بسياسات الاحتلال تجاه الفلسطينيين. في السنوات الأخيرة، أغلقت سلطات الاحتلال العديد من المكاتب الصحفية بقرارات عسكرية؛ منها مكتب "قناة القدس" ومكتب "قناة فلسطين اليوم" وشبكة "جي ميديا"، بمبرر التحريض على العنف ضد إسرائيل، فيما يقبع 25 صحفيا فلسطينيا في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

> **تتحول الرقابة الذاتية إلى قضية إشكالية عندما يتم إخفاء معلومات مهمة يجب أن يعرفها الجمهور، لمساعدته على الاختيار واتخاذ القرار في بعض الأحداث المهمة؛ كالانتخابات.**

رقابة قديمة متجددة

تعود جذور الرقابة على الصحافة الفلسطينية إلى زمن الانتداب البريطاني، حيث أغلقت السلطات البريطانية عددا من الصحف الفلسطينية ما بين الأعوام 1936 - 1939. وبعد قيام دولة الاحتلال الإسرائيلي

سنة 1948، تولت السلطات الأردنية الرقابة على الصحافة الفلسطينية في الضفة الغربية، فيما تحولت الصحافة في قطاع غزة إلى الرقابة المصرية. وبعد احتلال الضفة وغزة العام 1967، بلغ القمع للصحافة ذروته؛ إذ خضعت الصحافة الفلسطينية مباشرة للرقابة العسكرية الإسرائيلية، وصار الرقيب الإسرائيلي مسؤولًا عن كل ما يصدر عن الصحافة الفلسطينية، وبات ممنوعا طبع أي مادة يعتبرها الاحتلال الإسرائيلي تحريضية أو متنافية مع سياساته.

في النتيجة، اختار العديد من الصحفيين العمل بأسماء مستعارة، أو مع مؤسسات أجنبية خوفا من الملاحقة والعقاب؛ ففي تلك الفترة، سُجن كثير من الكتاب والأدباء وأصحاب المكتبات، وأصبح الكُتّاب بمثابة السلاح بالنسبة لإسرائيل.

وأثناء إنشاء السلطة الفلسطينية في العام 1994، صدر قانون المطبوعات الفلسطيني، وتولت الأجهزة الأمنية الفلسطينية متابعة كُتّاب الرأي والمقالات. وعلى الرغم من أن المادة الثانية من قانون المطبوعات والنشر للعام 1995 تنص على أن حرية الرأي مكفولة للفلسطينيين، إلا أنها مقيدة ببعض القوانين للعمل الصحفي؛ مثل تجريم نشر كل ما يعرّض الأمن الوطني الفلسطيني للخطر.

ومن المفارقات، أن الرئيس الفلسطيني محمود عباس، وقّع في آب/أغسطس 2016 على إعلان دعم حرية الإعلام في العالم العربي، وأصدر قرارا باعتبار الأول من شهر آب يوما لحرية الرأي والتعبير في فلسطين، لكن هذا التوقيع ظل حبرا على ورق ولم يُغير من سلوك السلطة تجاه الصحفيين؛ ففي العام 2017 صادق الرئيس على قانون مكافحة الجرائم الإلكترونية الذي رأت فيه المؤسسات الحقوقية محاولة لتكميم الأفواه؛ فبموجب القانون تم حجب عشرات المواقع الإخبارية، وجرى اعتقال خمسة صحفيين على خلفية منشوراتهم التي تعبر عن آرائهم السياسية على مواقع التواصل الاجتماعي، الأمر الذي دفع المؤسسات الحقوقية للقيام بحملة للإفراج عن الصحفيين، فيما تواجه السلطة الفلسطينية إلى اليوم انتقادات قانونية وحقوقية لمواصلة العمل بالقانون.

> **تلجأ السلطة إلى الرقابة الذاتية للهروب من الضغوط والانتقادات الدولية، من خلال التظاهر باحترام الحريات الصحفية، لكنها في الوقت نفسه، تحدد سقف الحريات العامة بصورة غير مُعلنة، وتلاحق كل من لا يلتزم به.**

وفي مثال حديث على رقابة السلطة على الصحفيين ما جرى من اعتداءات وحشية على العشرات من الإعلاميين خلال تغطيتهم للتظاهرات التي خرجت للشوارع في الضفة الغربية، وذلك في أعقاب مقتل الناشط السياسي نزار بنات على أيدي الأجهزة الأمنية الفلسطينية في يونيو/حزيران 2021.

وعمق الانقسام السياسي الداخلي بين حركتي فتح وحماس عام 2007 -والمستمر إلى الآن- الرقابةَ الذاتية؛ من خلال زيادة الضغط على الإعلاميين، مع تحول المؤسسات الإعلامية التابعة لطرفي الانقسام إلى ساحة هجوم ضد بعضهما البعض من جهة، وإخضاع الإعلاميين أنفسهم للرقابة الذاتية من جهة أخرى، كي لا يتعرضوا للهجوم أو الترهيب من الطرف الآخر.

ومن المفارقات أن الإعلام الرقمي فاقم من ظاهرة الرقابة الذاتية، إلى درجة أن الباحثين خلصوا إلى أن المنصات الرقمية تساعد في تنمية ظاهرة "دوامة الصمت"، وذلك عندما يقوم الأفراد بقمع آرائهم إذا اعتقدوا أنها تخالف توجهات الآخرين أو أن الحكومة تراقبهم. في الحالة الفلسطينية، يزيد الأمر تعقيدا ملاحقة السلطات الإسرائيلية للمحتوى الرقمي الفلسطيني بالتواطؤ مع شركات التكنولوجيا الكبرى مثل فيسبوك وتويتر وإنستغرام. لقد أدى ذلك إلى

تقييد حسابات العشرات من الصحفيين والشبكات الإعلامية؛ مثل صفحة وكالة شهاب التي تحظى بنسب متابعة عالية، فضلا عن اعتقال عدد من الصحفيين، بذريعة نشر محتوى معاد للسامية، ومحرض على العنف ضد إسرائيل.

مضمون هابط وإعلام دعائي

يرى عمر نزال أنّ الرقابة العسكرية الإسرائيلية التي خضع لها أثناء عمله الصحفي في منتصف ثمانينات القرن الماضي أخف وطأة من الرقابة الذاتية، يقول: "في الأولى يتولى الرقيب العسكري مسؤولية التغيير في المادة الصحفية التي كنا نقدمها له، فيترك منها ما يشاء ويشطب ما يراه غير مناسب لسياساته، لكن في الرقابة الذاتية، نمتنع نحن الصحفيين عن كتابة أي مادة لمجرد التفكير بأنها ستخلق لنا المتاعب".

في دراسة أعدها نشأت الأقطش، أستاذ العلاقات العامة في جامعة بيرزيت، حول الرقابة الذاتية للصحفيين الفلسطينيين في العام 2011، يقول: "إن الممارس لمهنة الصحافة في فلسطين يطور بالخبرة مهارات ذاتية في تغطية الأحداث، تساعده على تجنب الانتقاد والعقاب من السلطة والمجتمع". وبرأي الأقطش فإن الصحفيين يحسّنون من مهارة الكتابة لديهم دون اهتمام بالمضمون بسبب تحاشي المواضيع التي تثير غضب الآخرين.

وهكذا تصبح الرقابة الذاتية قناعة مهنية لدى الصحفيين لا يمكن الخروج عن قواعدها؛ باعتبارها ضابطا مهنيا، فيتحول الصحفي إلى شخص نمطي لا يفكر خارج الصندوق.

في فلسطين لا يمكن أن تكتب لا عن السلطة ولا عن الاحتلال وكل ما يتبقى للصحفيين هو بعض القصص الاجتماعية التي لا تتمثل دور مراقبة السلطة (تصوير: نبيل منذر - إ ب أ).

لذلك، يتعاظم أنموذج الصحفي "السحيج" (المداهن للسلطة) أو صحفي العلاقات العامة والمجاملات، وكلاهما لا يمتان بصلة لمهنة الصحافة ومعاييرها.

من ناحية أخرى، يتجنب الصحفيون الكتابة حول علاقة السلطة الفلسطينية ودولة الاحتلال الإسرائيلي؛ مثل قضية التنسيق الأمني، أو أي اجتماعات سرية بين الطرفين. في هذه الحالة، يكتفي الإعلام الفلسطيني بنقل الأخبار عن المصادر الإسرائيلية، خشية المراجعة والمحاسبة من السلطة التنفيذية.

بمعنى آخر، أسهمت الرقابة الذاتية في تدني مستويات المهنية والتأثير على المنظومة الإعلامية الفلسطينية وإخراجها من مفهومها الأساسي والنظري كسلطة رابعة. في المقابل، قلما نجد تغطيات جريئة لقضايا حساسة، وإن وُجدت فإما أن يكون الصحفي عاملا مع مؤسسة أجنبية توفر له غطاء الحماية، أو أن ينشر أعماله بأسماء مستعارة.

كتاب «صحفيون خلف أسماء مستعارة» الصادر عن معهد الجزيرة للإعلام حرر صحفيين من ضغوطات الرقابة الذاتية للكتابة عن محنتهم مع السلطة ورجال الأعمال والقضاء والأعراف الاجتماعية.

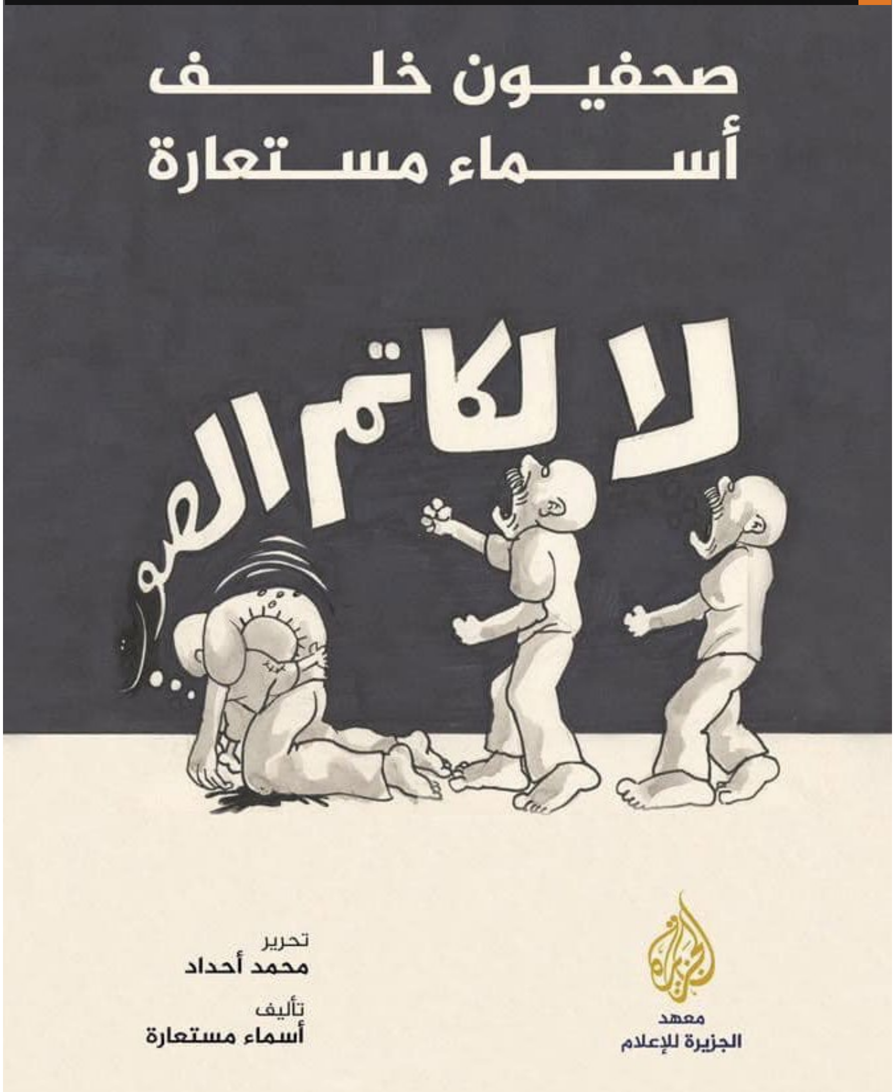

الجرأة تعني الملاحقة

تمنع الرقابة الذاتية الصحفيين والمؤسسات الصحفية من تغطية القضايا الحساسة؛ مثل الفساد والمحسوبية، أو انتقاد مؤسسة الرئاسة الفلسطينية والحكومة والأجهزة الأمنية. في هذا الشأن، يقول نزال:

"تفرض السلطة خطوطا حمراء غير معلنة عند تناول هذه الملفات والقضايا الحساسة، وهو ما يؤثر على نوعية العمل الصحفي وجودته، خاصة إذا ما رُبط بغياب قانون حق الحصول على المعلومات والمصادر الموثوقة".

فراس الطويل، محرر ومشرف تحقيقات استقصائية في شبكة أريج حاليا، كان ممن عانوا من الرقابة الذاتية خلال عمله الصحفي في فلسطين. ففي العام 2017 أنجز تحقيقا حول الإعفاءات الضريبية التي يمنحها الرئيس الفلسطيني لمتنفذين ومقربين منه، لكن المؤسسة المحلية التي كان يعمل معها آنذاك رفضت نشر التحقيق خوفا من تبعاته. يقول فراس: "المؤسسة تمارس الرقابة الذاتية على نفسها، وقد رفضت نشر التحقيق لإمكانية تشكيل خطورة عليها، فاضطررتُ لنشره في وسيلة إعلامية أخرى باسم مستعار، خوفا من الملاحقة". ويرى الطويل أن "هناك دائما حسابات ومقاييس علينا اتباعها عند العمل على أي قضية حساسة، علينا التخلص من الرقابة

الذاتيـة، لكـن هـذا الأمـر ليـس سـهلا بالمطلـق". ولـم يكشـف فراس عن اسمه الحقيقي إلا بعد عـام من نشـر التحقيـق، عندما فاز تحقيقـه بجائـزة النزاهـة ومكافحة الفسـاد العـام 2018.

يتجنـب الصحفيـون الكتابـة حـول علاقـة السـلطة الفلسـطينية والاحتـلال الإسـرائيلي؛ مثـل قضيـة التنسـيق الأمنـي، فيكتفـون بنقـل الأخبار عـن المصادر الإسـرائيلية، خشـية المراجعة والمحاسـبة مـن السـلطة التنفيذيـة.

وفـي العـام 2020، نشر الطويـل تحقيقا آخـر باسـمه حـول الأمـوال غيـر القانونيـة التـي يتلقاها المحامـون فـي فلسـطين، فشُـن عليـه هجـوم حـاد من نقابـة المحاميـن. "لقـد تعرضـتُ لسـيل مـن الشـتائم والتهديـدات والملاحقـات علـى مواقـع التواصل الاجتماعي، كان الأمـر صعباً للغاية، وهـذا الأمـر دفعنـي للتفكيـر ألـف مـرة قبـل بـدء العمـل علـى أي تحقيـق جديـد" يتذكـر فـراس معاناتـه مـع الرقابـة الذاتيـة.

علـى المسـتوى الشـخصي، عملـتُ مراسـلة تلفزيونية لتسـع سـنوات فـي فلسـطين، فـي بيئة حافلـة بالاعتـداء علـى الحريـات الصحفيـة؛ فتعرضـتُ للكثيـر مـن المضايقـات مـن قبـل الأجهـزة الأمنيـة الفلسـطينية، وكذلـك جيـش الاحتـلال الإسـرائيلي، الـذي اسـتهدفني مـرارا بالقنابـل الصوتيـة والغازية والمياه العادمة، خـلال تغطياتـي المباشـرة للمواجهـات مـع الفلسـطينيين عنـد نقـاط الاحتـكاك.

كان يصفنـي الكثيـرون بالصحفية الجريئـة التـي لا تخـاف، وفـي الحقيقـة أننـي كنـت مسـكونة بالرعـب. كثيـرا مـا كنـتُ أشـعر أن هنـاك كائنـا بشـريا يعـرش فـي عقلـي، يراقـب كلماتـي وكتاباتـي وكل مـا أنطـق بـه علـى الهـواء مباشـرة. أعلـم جيـدا أن هـذا الشـعور الـذي رافقنـي طيلـة تلـك السـنوات كان نتيجـة الخـوف علـى سـلامتي وحريتـي، وهـو مـا دفعنـي، إلـى جانـب أسـباب أخـرى، إلـى التخلـي عـن وظيفتـي كمراسـلة، والخـروج مـن فلسـطين بحثـا عـن تجربـة مهنيـة أخـرى.

أخيـرا، فـي ضـوء المضايقـات التي تعـزز ظاهـرة الرقابـة الذاتيـة، لا بـد مـن البحـث عـن الوسـائل التـي توفـر الحمايـة للصحفييـن وتخفـف مـن وطـأة الرقابـة الذاتيـة وتأثيرها علـى قصصهـم. فـي هـذا الإطـار، يقـع علـى عاتق الجسـم الصحفـي الفلسـطيني الاتفـاق علـى ميثـاق إعلامـي لحمايـة الصحفييـن، وتوفيـر بيئـة قانونيـة تصـد الملاحقـات الأمنية والتهديـدات التـي يتعرضـون لهـا ارتباطـا بعملهـم الصحفـي. كمـا لا بـد مـن تطويـر القوانيـن والتشـريعات المحليـة ومواءمتها مـع المعاهـدات الدوليـة، لكفالـة الحـق فـي حريـة الـرأي والتعبيـر. لكـن يبـدو أن المهمـة ليسـت سـهلة إطلاقـا، وتحتـاج إلـى نفَـس ووقـت طويليـن.

المراجع:

1- نشـأت الأقطـش، ظاهـرة اسـتهداف الصحفييـن وتأثيرهـا فـي الأداء المهنـي وممارسـة الرقابـة الذاتيـة (الصحفيـون الفلسـطينيون نموذجـا)، 2011.

2- Orwell, G. (1972). The freedom of the press. New York Times Magazine, 8.

3- Tapio Kujala: Media War in the Middle East - The Cross-Pressures of Journalism in the Israeli - Palestinian Conflict.

4- Jonathan Day. What Is Self-Censorship? How Does It Kill Media Freedom? 2011. https://www.liberties.eu/en/stories/self-censorship/43569

5- https://rsf.org/ar/ranking?#

6- https://thenaturalfarmer.org/article/george-orwell-on-censorship/?print=print

الترجمة الصحفية.. البحث عن أفضل خيانة تحريرية ممكنة

بهاء الدين السيوف

المترجم دائما مشتبه به بأنه «خائن للنص»، وتصبح هذه الخيانة أكثر وطأة حين يتعلق الأمر بالترجمة الصحفية، لأنها آنية وسريعة وترسخ مفاهيم جديدة ولو بتعابير رديئة. تطرح الترجمة الصحفية إلى العربية إشكاليات السياق الثقافي وإمكانية التدخل في النص الأصلي.

"للأسف، ترجمتك ليست دقيقة يا عزيزي"، بادرَني بها رئيس تحرير المجلة التي كنت قد قُبِلتُ للعمل فيها أواخر العام 2016، كانت ترجمتي الأولى هناك، والأخيرة! "ليس لك أن تحذف كلمة من النص الأصلي حتى لو لم تكن ذات أهمية، عملُنا هنا ترجمة المقالات وليس تلخيصها!" كانت جملة في النص تقول إن الجمارك رفضت إدخال شحنة من القمح مرة واثنتين وخمسا وعشرا. ترجمتها "مرة وخمسا وعشرا"، حذفت كلمة اثنتين، ولم أقف صامتا، حاولت إقناعه بصحة ترجمتي: "إن كاتب النص صحفي متخصص بالاقتصاد، وهو إسباني، من الطبيعي عند العدّ أن يستحضر أرقام الفئات النقدية في بلاده، يورو واثنين وخمسة وعشرة، أما أنا فاستحضرت الفئات النقدية التي يعرفها من سيقرأ مقالي هنا"، رأيت ملامح الدهشة على وجهه، أظنه تعلم شيئا جديدا آنذاك، وأظنني أفلحت في الترجمة فحسب. أما في الوظيفة تلك فلم أقبض دينارا ولا اثنين ولا خمسة ولا عشرة!

يقول بيتر نيومارك، أحد أبرز مؤسسي دراسات الترجمة في العالم: "إن وظيفة المترجم هي إيصال "الرسالة" التي أرادها كاتب النص الأصلي و"بالإحساس" ذاته"؛ أي إن المعنى وحده لا يكفي. على المترجم أن يتغلغل في صميم الكاتب، بِمَ كان يفكر في تلك اللحظة؟ وأي دلالة أراد أن يودعها هذه الكلمات؟ لا ننسى أن طبيعة عمل المترجم تفرض عليه أن يكون رسولا بين أمة وغيرها، بين ثقافة وأخرى بعيدة، فإلى أي مدى هو صعب حمل هذه الرسالة؟

تقوم الترجمة عمليا على خطوتين رئيستين؛ قراءة نص بلغته الأصلية، وكتابة نص جديد باللغة الهدف؛ لذلك يشترط في المترجم - بحسب نيومارك - أن يكون على دراية بلغة النص الأصلي وثقافة الناطقين بها، وأن يكون كذلك على دراية تامة بلغة النص

الترجمة الأمينة للمقالات الصحفية لا تعني الاحتفاظ بالنص الأصلي كما هو (تصوير: طيبة صادق - رويترز)

الهدف وثقافة الناطقين بها. لن نستغرب، إذن، حين نعلم أن أحمد الصافي النجفي - عراقي الأصل - كان قد ارتحل إلى إيران وقضى فيها ثماني سنوات قبل أن يترجم رباعيات الخيام، ثم لن يكون مُستغرَبا أن تكون ترجمته من أفضل الترجمات للرباعيات المعروفة، بعد معاشرته للناطقين باللغة الفارسية ومخالطته إياهم سنين طويلة! أما اللغة، التي هي عماد تفكير الإنسان، ومرآته في الفكر والثقافة والاجتماع وغير ذلك، فربما من المستحيل أن يتطابق فيها لسانان من بلد واحد، فكيف إذا كانا من ثقافتين إحداهما في مشارق الأرض والأخرى في مغاربها؟ وإذا كانت اللغات ذاتها تختلف فيما بينها من حيث قواعدها النحوية والصرفية ودلالات كلماتها وأساليب الصياغة وحتى في تأثير أصواتها على المتلقي من كلا الجانبين، فهل يشمل عمل المترجم تلك القواعد والأساليب كي يكون أمينا على هذه الرسالة؟ هل عليه أن يلتزم قواعد الإنجليزية مثلا لكتابة نص عربي؟ يبدو ذلك ضربا من الجنون، فلننقل المعنى وحده بأمانة، ولتذهب القواعد والمفردات إلى الجحيم! من هنا جاء المثل الإيطالي المعروف "traduttori traditori" "المترجمون خونة".

كل الطرق تؤدي إلى الخيانة

كثيرة هي المناحي اللغوية والثقافية التي يلجأ فيها المترجم الصحفي مضطرا إلى الخيانة بهدف إيصال رسالة كاتب النص الأصلي، وأخص هنا الترجمة إلى العربية، والفوارق الكبيرة بينها وبين اللغات الغربية. على سبيل المثال، فإن الإنجليز يبدؤون جملتهم بالفاعل ثم يأتون على الفعل، وكأن كلامهم كله جمل اسمية، بينما تُنوع العربية في استخدام الجملتين الفعلية والاسمية مع رجاحة كفة الفعلية في غالب النصوص، ولكلتا الجملتين دلالات معينة؛

فالفعلية تُبرز الفِعلة ذاتها، والاسمية تُبرز الشخوص. على كل حال لن يلتزم المترجم بقواعد الإنجليزية، وسيصوغ جملا فعلية كثيرة، فاستبشروا بالخيانة!

القمر في الإسبانية مؤنث، والشمس مذكرة، كثير من المذكرات العربية مؤنثة في الإسبانية، والعكس كذلك صحيح، ماذا سيصنع المترجم أمام مجتمع مدني وآخر محافظ؟ هل يرضي التيارات التقليدية أم يجنح صوب النسوية؟ في النهاية سيقرأ الإسبان المقال تحت ضوء قمرة أنثى، وسيقرؤه العرب تحت ضوء قمر ذكر! كما أن الإنجليز يقولون Friend، كيف نترجم هذه؟ صديق أم صديقة؟ هل يؤمن المترجم بوجود جنس ثالث غير هذين؟

ماذا عن الملكية في عالم رأسمالي؟ الإنجليزية واللغات اللاتينية في العموم تقدم ضمير الملكية على الاسم، على عكس العربية التي تذكر الاسم ابتداء ثم تلحق به ضمير الملكية مهملا متصلا. يعرف الدارسون في علوم اللغة واللسانيات أن ما يتقدم من كلمات في الجمل تكون له الأهمية في المقال، ليس أمامك هنا سوى الخضوع لقواعد العربية وإهمال الملكية في أواخر الأسماء ضميرا متصلا لا يتجاوز الحرف أو الحرفين، حتى وإن لم تكن شيوعيا!
ماذا عن الأرقام في عالم رقمي؟ وماذا عن الأعداد في عالم بات القتلى فيه أرقاما يومية لا أسماء؟ اللغات الغربية تذكر الرقم قبل الاسم، العدد قبل المعدود، بينما العربية تتيح لك أن تضع الاسم قبل العدد، أن تنوّه بالاسم وأن تعطيه حقه ولو في اللغة؛ قُتل أربعة مدنيين، أم قُتل مدنيون أربعة؟!

كل ذلك يضع المترجم الصحفي أمام مفترقات عديدة، تتفرع منها طرق عديدة، كلها تؤدي إلى الخيانة، لكن، ماذا إذا كان الطريق مسدودا بالأساس؟

كثير من الصياغات اللغوية الصحفية الرديئة سببها ترجمات رديئة بالأساس، حتى إن بعضها يحرف المعنى عن القصد تماما.

طرق مسدودة في الترجمة

في بعض الأحيان يجد المترجم في الصحافة نفسه أمام حاجز لا منفذ فيه، كلمة لا أصل لها في اللغة المترجم إليها. قبل أشهر قليلة ترجمتُ نصا لكاتب من المكسيك لفائدة ”مجلة الصحافة“، أتى على ذكر نبتة اسمها (Chayote)، بحثتُ عنها في موسوعات النباتات ولم أجد لها أصلا في العربية، ذهبتُ إلى مشتل في الشمال، سألتُ المزارعين هناك، لم يعرفها أحد، آخر الأمر أدركتُ أنها نبتة تنتشر في أمريكا اللاتينية فقط. لم يعرفها أجدادنا هنا، للوهلة الأولى رأيت أن أضع اسم نبات آخر من الفصيلة النباتية ذاتها، يكون قريبا من خصائصها وصفاتها، أحسست أني أبالغ في الخيانة، في آخر الأمر وضعت اسمها كما هو؛ ”تشايوته“، وتركت ملاحظة للقارئ في الهامش لا تتجاوز السطر، وضعت فيها نبذة عامة عن تلك النبتة اللعينة! والآن بعد أن استعرضنا شيئا

إن وظيفة المترجم هي إيصال الرسالة التي أرادها كاتب النص الأصلي و«بالإحساس ذاته» (تصوير: محمد حامد - رويترز).

من مواضع الخيانة في الترجمة، ماذا عن المترجم الأمين؟ ماذا لو طبقنا الترجمة الحرفية حتى على قواعد اللغة وصياغاتها؟ هنا ستكون الكارثة!

> **على المترجم أن يتغلغل في صميم الكاتب، بِمَ كان يفكر في تلك اللحظة؟ وأي دلالة أراد أن يودعها هذه الكلمات؟**

الترجمات الحرفية اليوم.. أخطاء لغوية شائعة غدا

كثير من الصياغات اللغوية الرديئة سببها ترجمات رديئة بالأساس، حتى إن بعضها يحرف المعنى عن القصد تماما، مثال ذلك الصياغة المستخدمة بكثرة اليوم في الصحافة والإعلام حين نقول مثلا: "ثلاث ساعات بعد خطاب الرئيس، اندلعت مواجهات..."، فبينما يقصد الكاتب أن المواجهات اندلعت بعد الخطاب بثلاث ساعات، فإن هذه الجملة تشير بصياغتها هكذا إلى أن المواجهات اندلعت بعد الخطاب مباشرة ولمدة ثلاث ساعات فقط، ثم توقفت! هذه الصياغة ترجمة حرفية من الإنجليزية "Three hours after the president speech..."، والأصل أن نقول: "بعد ثلاث ساعات من خطاب الرئيس، اندلعت مواجهات..."، كما نرى فإن ترجمة حرفية واحدة حرَّفت المعنى كله، وسلِم المترجم من الخيانة!

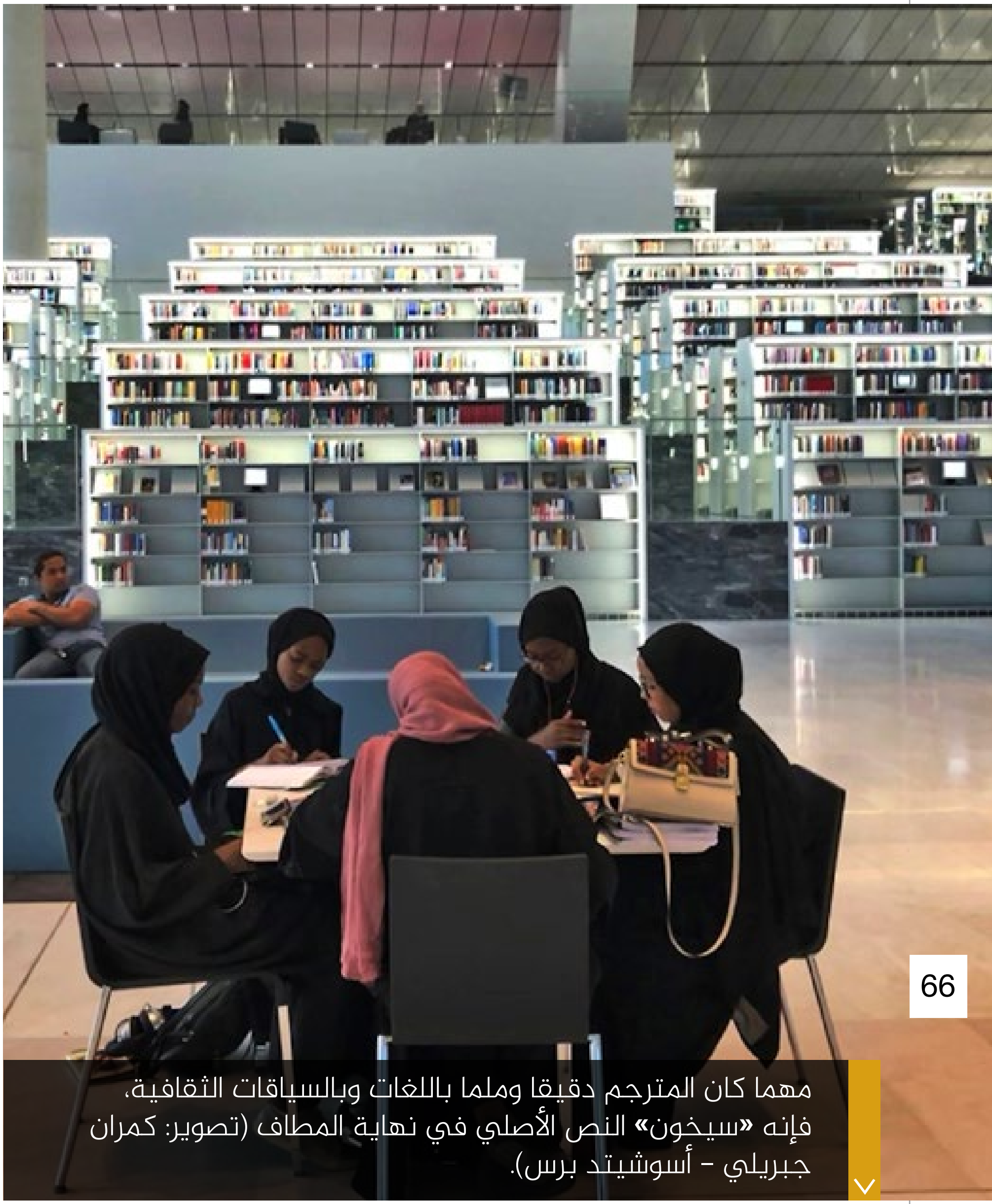

مهما كان المترجم دقيقا وملما باللغات وبالسياقات الثقافية، فإنه «سيخون» النص الأصلي في نهاية المطاف (تصوير: كمران جبريلي - أسوشيتد برس).

"كل ما عليك أن توصل رسالة الكاتب بأمانة مهما كان الثمن اللغوي، الجميع يعلم أنك خائن، والكاتب زبونك الأصيل، افهم طلبه جيدا، واحرص على نقله سليما إلى القرّاء."

يستخدم الصحفيون العرب في شمال أفريقيا كلمة "يفقد" في التقارير الرياضية: "منتخبنا الوطني يفقد مباراته أمام..."، منذ متى نستخدم الفعل يفقد في هذا السياق؟ معروف في العربية أن الفقد يكون للشيء أو الشخص الذي كان بين يديك أصلا، في متناولك، أما في التنافس فهي خسارة، "خسر المنتخب ...". هذه أيضا ترجمة رديئة عن الإيطالية والإسبانية من الفعل (Perder)، ولربما يتفوق علينا الأوروبيون في الرياضة؛ لأن ضمير لسانهم يَعُدّ المنافسات بين أيديهم في الأساس، فيحرصون على ألا يفقدوها، بينما نحن نعدّها ربحا وخسارة! ما يهمنا هنا ألا يخسر المترجم أبدا.

"اللغات الغربية تذكر الرقم قبل الاسم، العدد قبل المعدود، بينما العربية تتيح لك أن تضع الاسم قبل العدد، أن تنوّه بالاسم وأن تعطيه حقه ولو في اللغة؛ قُتل أربعة مدنيين، أم قُتل مدنيون أربعة؟"

ما الذي ينبغي للمترجم فعله

قبل أن أدخل عالم الترجمة، كنت أعمل موظف كاشير في مطعم شعبي، كانوا يسمون الكاشير هناك في نبوءة مستعجلة "الحرامي"، والحقّ أن كل الظروف كانت مُهيأة لذلك؛ عمل بغير عقد رسمي ولا ضمان اجتماعي ولا تأمين صحي، وبأجر يومي لا يتجاوز عشرة دولارات، بينما أنت تحرس صندوقا فيه الآلاف. وظيفتك أن تكون رسولا بين الزبون وبقية العمال، تنقل رسالته على قصاصات من ورق، كل ما عليك أن تكون أمينا في نقل طلبات الزبون، وأن تكون لبقا وحريصا في لصوصيتك.

أمضيت هناك تسع سنوات، واليوم أجدني أفعل الشيء ذاته! كل الظروف مهيأة للخيانة في الترجمة، والمنافذ كلها مسدودة، كل ما عليك أن توصل رسالة الكاتب بأمانة مهما كان الثمن اللغوي، الجميع يعلم أنك خائن، والكاتب زبونك الأصيل، افهم طلبه جيدا، واحرص على نقله سليما إلى القراء، بكل ما استطعت إليه الوصول من مفردات، قلت أو كثرت، في النهاية أنت تخون بأمانة مطلقة يا عزيزي.

الصحافة مهنة سريعة، والترجمة تحتاج إلى تأمل وتفكير (تصوير: حمد محمد - رويترز).

الأمن الرقمي للصحفيين.. الوقاية خط الدفاع الأخير

مي شيغينوبو

أثار التحقيق الاستقصائي الذي قادته منظمة «فوربيدن ستوريز» حول التجسس على الصحفيين ردود فعل عالمية بين المنظمات الحقوقية والمؤسسات الرسمية أيضا. الظاهر أن التجسس أصبح منظما أكثر من أي وقت مضى ليس فقط من طرف الدول الاستبدادية بل حتى من الدول التي تصنف بأنها ديمقراطية. هذه «حزمة» من النصائح لحماية الأمن الرقمي للصحفيين.

بيغاسوس ليس سوى الشجرة التي تخفي غابة كبيرة من برامج التجسس على الصحفيين والنشطاء (شترستوك).

أُثيـرَت مؤخـرا فـي أوسـاط العامليـن فـي قطـاع الإعـلام مخاوف مشروعة بشأن المعلومات التـي كُشـف عنهـا فـي تموز/يوليـو 2021، والتـي تفيـد باسـتخدام بعـض الأنظمـة القمعيـة حـول العالـم نظـام تجسـس إسـرائيلي الصنـع للتلصص علـى هواتـف صحفيين ونشـطاء (1).

فـي 18 تموز/يوليـو 2021، كشـفت مجموعـة مكونـة مـن 17 مؤسسـة إعلامية تسـمي نفسـها مشـروع بيغاسـوس (2) عـن أن نظـام تجسـس صنعتـه شـركة برمجيات المراقبـة الإسـرائيلية إن إس أو (NSO Group) والـذي يحمـل نفـس الاسـم "بيغاسـوس" اسـتُخدِم لاختـراق هواتـف النشـطاء والصحفييـن والسياسـيين. سُرِّب حجم عمليات المراقبـة هـذه أولا إلـى منظمـة العفـو الدولية ومنظمة فوربيدن سـتوريز (قصص محرمـة)، وهـي منظمـة غيـر ربحيـة مقرهـا فـي باريـس. وعلـى إثـر ذلـك أجـرت كلتـا المنظمتيـن تحقيقـا جنائيـا حـول البيانـات وشـراكتها مـع الجهـات الإعلاميـة.

ضمـن تلـك البيانـات قائمـة تشـمل 50,000 رقم هاتـف تعـود لصحفييـن ونشـطاء سياسـيين وشـخصيات سياسـة عامـة، يُعتَقـد أنهـم علـى قوائـم المسـتهدفين مـن قبـل عمـلاء شـركة إن إس أو.

وحسـب تقريـر نشـرته صحيفـة الغارديـان تضمنـت القائمـة أرقـام عامليـن فـي وكالـة فرانـس بـرس، وول سـتريت جورنـال، سـي إن إن، نيويـورك تايمـز، الجزيـرة، فرانـس24، إذاعـة أوروبـا الحـرة، ميديـا بـارت، إلبابييـس، أسوشـيتد بـرس، لومونـد، بلومبيـرغ، ذي إيكونوميسـت، رويتـرز، وصـوت أمريـكا.

ما يميـز الفضيحـة الأخيـرة هـو أعـداد الضحايا والكشـف عـن أن برنامـج التجسـس المتقـدم بيغاسـوس قـادر علـى اختـراق الهواتـف دون الحاجة لتفاعـل أو تجـاوب مـن الشـخص المسـتهدف (صفر نقـرة).

وتضمنـت القائمـة كذلـك أرقـام بعـض رؤسـاء الـدول ورؤسـاء الـوزراء وأفـراد الأسـر الملكيـة ودبلوماسـيين وسياسـيين بالإضافـة إلـى نشـطاء ورجـال أعمـال. وأفـادت الغارديـان أنـه لـم يتـم التحقـق بعـد ممـا إذا كانـت كل الأرقـام الموجـودة علـى القائمـة قـد تعرضـت للاختـراق. وأفـادت صحيفـة واشـنطن بوسـت (3) أن برنامـج التجسـس بيغاسـوس استهدف كذلك هاتف خطيبـة الصحفـي الراحـل جمـال خاشـقجي قبـل أيـام مـن اغتيالـه داخـل قنصليـة المملكـة العربيـة السـعودية فـي إسـطنبول العـام 2018.

قبـل ذلـك بعاميـن، تعهـدت (4) إن إس أو بضبـط تجـاوزات إسـاءة اسـتخدام برامجهـا، مشـيرة إلـى أنهـا سـتوائم أنشـطة الشـركة مـع مبـادئ الأمـم المتحـدة التوجيهيـة فـي الأعمـال التجارية وحقـوق الإنسـان. ونفـت الشـركة مـا أوردتـه صحيفـة الغارديـان فـي تقريرهـا واعتبرتـه "ادعـاءات كاذبـة".

وقالـت الشـركة فـي بيانهـا: "تنفـي مجموعـة إن إس أو بشـدة المزاعـم الكاذبـة الـواردة فـي تقريركم. وتؤكـد أن معظـم مـا ورد فيـه هـو نظريـات مختلقـة تثيـر الشـكوك حـول مصداقيـة مصادركـم والأسـس التـي انبنـى عليهـا تقريركـم".

وبيغاسـوس هـو برنامـج تجسـس يسـتطيع تحويل هواتـف الأندرويـد أو الآيفـون لأجهـزة مراقبـة، وقـد ذاع الجـدل حولـه سـابقا لاسـتخدامه مـن قبـل الأنظمـة القمعيـة لاختـراق الصحفييـن والنشـطاء الحقوقيين والتجسـس عليهـم.

ففـي العـام 2016، كشـفت مؤسسـتا سـيتيزن لاب ولـوك آوت عـن تعـرض أحـد نشـطاء حقـوق الإنسـان الإماراتييـن (5) للاختـراق، ممـا دفعهمـا لتنبيـه شـركة آبـل التـي أصدرت تحديثـا لسـد الثغـرة الأمنيـة التـي اسـتُغلّت لاختـراق هاتفـه.

ورفعـت واتسـاب سـنة 2019 دعـوى قضائيـة (6) ضـد إن إس أو، بسـبب برنامـج التجسـس بيغاسـوس والـذي اسـتُخدم لاختـراق حسـابات أكثـر مـن 1400 صحفـي وناشـط حقوقـي ومعـارض فـي جميـع أنحـاء

العالم، من خلال استغلال ثغرات لم تكن قد اكتُشِفَت بعد.

ما يميز الفضيحة الأخيرة هو أعداد الضحايا والكشف عن أن برنامج التجسس المتقدم هذا قادر على اختراق الهواتف دون الحاجة لتفاعل أو تجاوب من الشخص المستهدف (صفر نقرة) حتى يمنح المخترق السيطرة والوصول الكامل إلى هاتف الضحية.

ومن المعروف أن بيغاسوس ليس برنامج التجسس الأول ولا الأخير، كما لا يمكننا الجزم بأنه البرنامج الأكثر تطورا.

ولطالما استخدمت الأجهزة الحكومية برامج التجسس لمراقبة أنشطة الأشخاص الذين يثيرون القلق أو الشبهة؛ ففي الولايات المتحدة، استخدمت وكالة الأمن القومي برنامج تجسس يسمى Dropout Jeep (7) لاختراق أجهزة الأيفون (8). كما حظي برنامج Cellebrite (9) الذي صنعته إسرائيل كذلك باستخدام واسع من قبل وكالات إنفاذ القانون وأجهزة الاستخبارات والوكالات الخاصة في 150 دولة مختلفة، في حين أنتجت شركة كانديرو/ Candiru برنامج تجسس يسمى Sourgum (10) يستطيع استغلال الثغرات الموجودة في منتجات مايكروسوفت وغوغل ، ويُعتقد أنه استُخدم كذلك لمراقبة صحفيين ونشطاء حقوقيين.

> **بيغاسوس عبارة عن برنامج ضار، تلقائي التنزيل على هاتفك بمجرد دخول الهاتف، يمكنه التجسس على كل شيء، سجل الاتصالات (بما في ذلك المعلومات المحذوفة).**

الخطير في برامج التجسس الجديدة أن الصحفيين لا يحتاجون للنقر على أي رابط للولوج إلى كل معطياتهم (تصوير: رويترز).

كيف تحمي نفسك من برامج التجسس

يصعب أحيانا منع برامج التجسس المتطورة والتي ترقى لمستوى الأسلحة من مراقبة وسرقة المعلومات بمجرد تثبيتها على الهاتف. مع ذلك، يمكن لممارسات الأمن الرقمي الأساسية حمايتك من أنظمة التجسس الأقل تطورا.

(1) احرص دائما على تحديث نظام التشغيل والتطبيقات الموجودة على جهازك: تعمل الشركات المصنعة للهواتف باستمرار على إصلاح الأخطاء والعيوب الأمنية التي يمكن أن يستغلها المخترقون وبرامج التجسس.

(2) استخدم خاصية التحقق بخطوتين (11) لتأمين حساباتك

هل ستثق مصادر المعلومات في الصحفيين بعدما تبين أن برامج التجسس استولت على كل معطياتهم؟ (تصوير: تولغا بوزوغلو - إ ب أ).

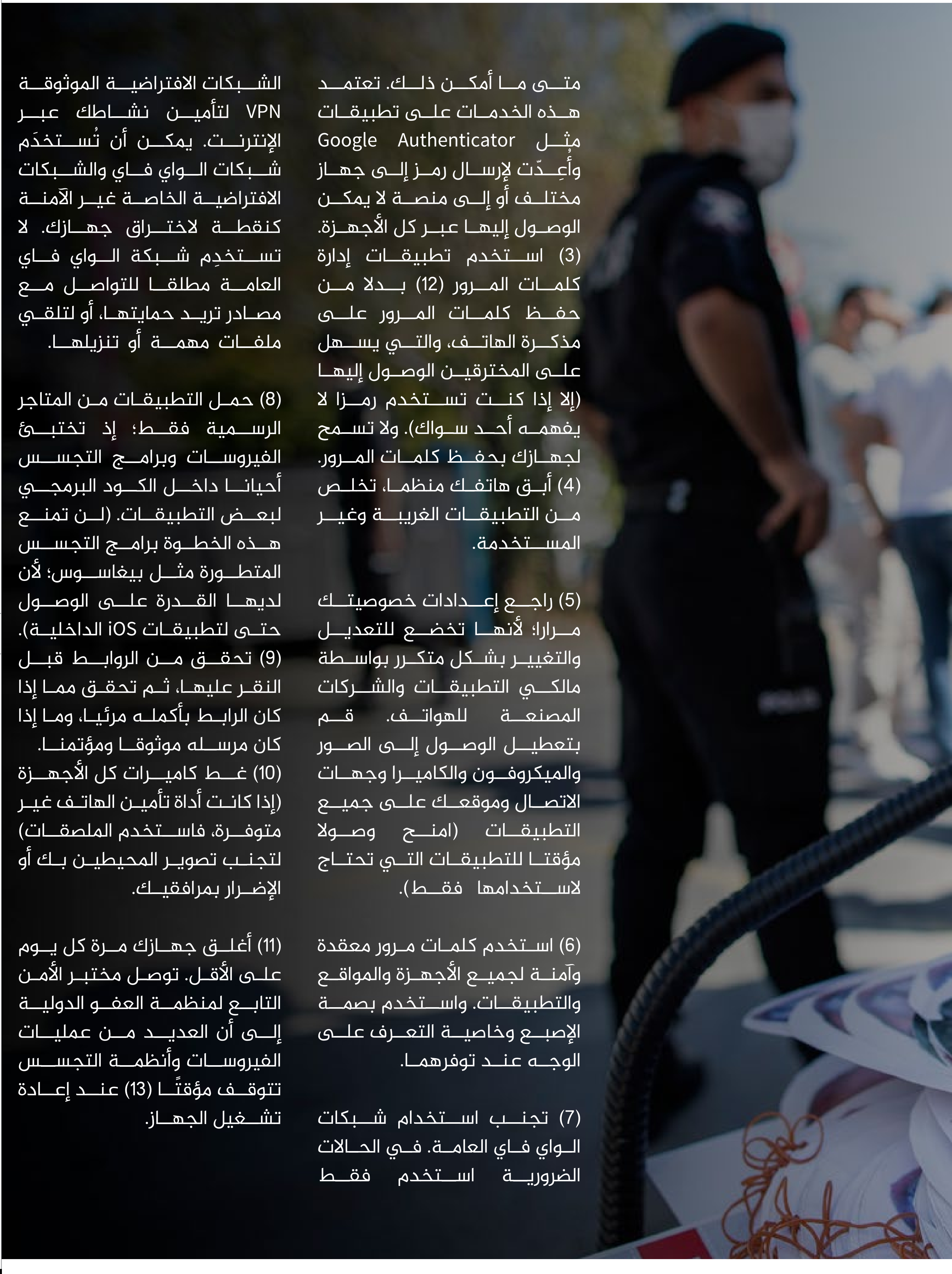

متى ما أمكن ذلك. تعتمد هذه الخدمات على تطبيقات مثل Google Authenticator وأُعِدّت لإرسال رمز إلى جهاز مختلف أو إلى منصة لا يمكن الوصول إليها عبر كل الأجهزة.
(3) استخدم تطبيقات إدارة كلمات المرور (12) بدلا من حفظ كلمات المرور على مذكرة الهاتف، والتي يسهل على المخترقين الوصول إليها (إلا إذا كنت تستخدم رمزا لا يفهمه أحد سواك). ولا تسمح لجهازك بحفظ كلمات المرور.
(4) أبق هاتفك منظما، تخلص من التطبيقات الغريبة وغير المستخدمة.

(5) راجع إعدادات خصوصيتك مرارا؛ لأنها تخضع للتعديل والتغيير بشكل متكرر بواسطة مالكي التطبيقات والشركات المصنعة للهواتف. قم بتعطيل الوصول إلى الصور والميكروفون والكاميرا وجهات الاتصال وموقعك على جميع التطبيقات (امنح وصولا مؤقتا للتطبيقات التي تحتاج لاستخدامها فقط).

(6) استخدم كلمات مرور معقدة وآمنة لجميع الأجهزة والمواقع والتطبيقات. واستخدم بصمة الإصبع وخاصية التعرف على الوجه عند توفرهما.

(7) تجنب استخدام شبكات الواي فاي العامة. في الحالات الضرورية استخدم فقط الشبكات الافتراضية الموثوقة VPN لتأمين نشاطك عبر الإنترنت. يمكن أن تُستخدَم شبكات الواي فاي والشبكات الافتراضية الخاصة غير الآمنة كنقطة لاختراق جهازك. لا تستخدِم شبكة الواي فاي العامة مطلقا للتواصل مع مصادر تريد حمايتها، أو لتلقي ملفات مهمة أو تنزيلها.

(8) حمل التطبيقات من المتاجر الرسمية فقط؛ إذ تختبئ الفيروسات وبرامج التجسس أحيانا داخل الكود البرمجي لبعض التطبيقات. (لن تمنع هذه الخطوة برامج التجسس المتطورة مثل بيغاسوس؛ لأن لديها القدرة على الوصول حتى لتطبيقات iOS الداخلية).
(9) تحقق من الروابط قبل النقر عليها، ثم تحقق مما إذا كان الرابط بأكمله مرئيا، وما إذا كان مرسله موثوقا ومؤتمنا.
(10) غط كاميرات كل الأجهزة (إذا كانت أداة تأمين الهاتف غير متوفرة، فاستخدم الملصقات) لتجنب تصوير المحيطين بك أو الإضرار بمرافقيك.

(11) أغلق جهازك مرة كل يوم على الأقل. توصل مختبر الأمن التابع لمنظمة العفو الدولية إلى أن العديد من عمليات الفيروسات وأنظمة التجسس تتوقف مؤقتًا (13) عند إعادة تشغيل الجهاز.

كيف تدافع عن نفسك ضد هجوم بمستوى بيغاسوس؟

بيغاسوس عبارة عن برنامج ضار، تلقائي التنزيل على هاتفك (أي إنك لا تحتاج للنقر على شيء كي يتم تثبيته). بمجرد دخول الهاتف، يمكنه التجسس على كل شيء؛ سجل الاتصالات (بما في ذلك المعلومات المحذوفة)، والمكالمات والرسائل القصيرة، وجهات الاتصال، ورسائل البريد الإلكتروني، والصور، ومقاطع الفيديو، وبيانات نظام تحديد الموقع، بالإضافة إلى سجل تصفح الإنترنت والمحادثات النصية.

يمكنه أيضا التحكم في جهازك، وتنشيط الميكروفون والكاميرا وتسجيل المكالمات ونقر المفاتيح وتصوير الشاشة دون أن يلاحظ الضحية أي شيء. حدد التحليل الجنائي الذي أجري على هواتف الضحايا عدة منافذ وثغرات (تقنيات هجوم) لبيغاسوس، ولا تخلو جميعها من النقرات. إليك كيف تواجه كلًّا منها:

هجمات النقرة الواحدة

تستغل هذه الهجمات الثغرات في برمجيات جهازك. وإحدى طرق ذلك هو تلقي مكالمة واتساب بسيطة على الجهاز، وبعد ذلك يتعطل التطبيق ويختفي اسم المتصل من سجل المكالمات. وبالمثل، يمكن لرسالة على خدمة الرسائل النصية iMessages (دون إشعار) اختراق الجهاز دون الحاجة لأي تفاعل من الضحية. لحماية المعلومات من هجمات الصفر نقرة:

- عطل التطبيقات التي تمثل نقطة دخول برنامج التجسس مثل iMessages وخدمة البريد الإلكتروني على الآيفون Mail، وآبل ميوزيك وفيس تايم، وألغ تثبيتها.

- أبق تطبيقاتك وأجهزتك محدثة (ابحث بنشاط عن التحديثات الجديدة).

- استخدم هاتفا آخر غير متصل بالإنترنت لإجراء المقابلات التي قد ترد فيها معلومات حساسة وللبحث والتحقيق وإجراء الاتصالات.

> ارتبط استخدام برمجيات المراقبة باعتقال وترهيب وحتى قتل الصحفيين والمدافعين عن حقوق الإنسان، الأمر الذي يترك أثراً بغيضاً يدفعهم لفرض الرقابة على أنفسهم.

هجمات الوسيط

تُعرف أيضا باسم "هجمات حقن الشبكة"، وتُستخدم لإعادة توجيه الضحية إلى موقع ويب ضار دون الحاجة إلى تفاعل المستخدم عن طريق غزو الجهاز من خلال الثغرات البرمجية. تتطلب هذه التقنية التحكم في شبكة الواي فاي المحلية، ومن الصعب جدا تحديد إن كنت أنت الشخص المستهدف. لتجنب هذا النوع من الهجوم:

- تجنب استخدام خدمة الواي فاي المجانية العامة أو غير الآمنة.

- استخدم شبكات خاصة افتراضية VPN خضعت لفحص مكثف ولديها سجلات خصوصية جيدة ولا تسمح بتخزين سجل التصفح.

- استخدم شبكات افتراضية خاصة موجودة خارج البلد الذي تتواجد فيه.

هجمات التصيد الاحتيالي

ترسل هذه الهجمات إلى الضحايا رسائل مفصلة بحسب اهتماماتهم لإغرائهم للضغط على الرابط أو الملف المرفق. هوجم العديد من الصحفيين الذين استهدفوا بواسطة بيغاسوس (وكانديرو) بهذه الطريقة، بحسب التحليل الجنائي الذي أجري في تموز/يوليو 2021. قد تصل هذه الروابط الخبيثة إلى الضحية على شكل

رسائل بريد إلكتروني أو رسائل نصية أو رسائل على منصات التواصل الاجتماعي أو عبر الواتس آب أو تطبيقات المراسلة؛ فما إن يتم الضغط عليها حتى يتم تثبيت برمجيات التجسس على الجهاز. وللوقاية من هذا النوع من الهجمات عليك الحد من إمكانية الوصول إلى أجهزتك من قبل أشخاص آخرين. لا تسمح لأي شخص لا تعرفه ولا تثق فيه باستخدامها.

حاول ألا يغيب جهازك عن نظرك في التجمعات والأماكن العامة، وخصوصا في المطارات وأثناء عبور الحدود ونقاط التفتيش (حين يطلب أفراد الأمن التحقق من حاسوبك وهاتفك).

قلل من إمكانيات أوامر شاشة الإغلاق لمنع دخول أشخاص غير مصرح لهم. لفعل ذلك، عليك أن تلغي

ويشمل هذا ماسحات رموز QR واتصال الواي فاي والروابط المؤدية إلى ويندوز.

فعّل خاصية المسح عن بعد في إعدادات إيجاد الهاتف find my iPhone/mobile/) (device في قائمة إعدادات الهاتف وفي حساب التخزين السحابي الخاص بك؛ لتكون قادرا على مسح كل المعلومات إن فقدت هاتفك.

الحل الذي بقي متاحا أمام الصحفيين هو التقليل من استعمال الهاتف في جمع المعلومات إلا في الحالات القصوى (تصوير: هاجن هوبكنز - غيتي).

عليك أيضا تأمين أجهزتك وأي تطبيقات مراسلة تستخدمها باستخدام كلمات سر معقدة وفريدة واستخدم خصائص بصمات الأصابع والتعرف على الوجه متى ما أمكن ذلك.

الوظائف وإمكانية الوصول إلى التطبيقات التي تتصل بالإنترنت من مركز التحكم في شاشة الإغلاق في هواتف آيفون أو قائمة الإعدادات السريعة في هواتف سامسونج.

ما الذي عليك فعله إن أصيب جهازك ببرنامج تجسس؟

إن أوصلك عملك الصحفي أو

نشاطك السياسي إلى قائمة الأشخاص المستهدفين من قبل حكومة ما، فلن يحميك حينئذ من هجمات الصفر نقرة في برنامج بيغاسوس لا حائط ناري ولا تشفير من النظير إلى النظير. إن كنت تشك -برغم اتخاذك للاحتياطات- بأن جهازك مصاب ببرنامج تجسس عليك بالآتي:

- توقف عن استخدام جهازك المصاب، خصوصا في الاتصالات المتعلقة بالعمل. ابدأ باستخدام هاتف جديد للتواصل مع مصادرك دون تحميل النسخة الاحتياطية من ملفات هاتفك القديم من خدمة التخزين السحابي (بعض برامج التجسس يمكن إخفاؤها في الكود البرمجي لتطبيق ما أو عبر تطبيقات المصنع مثل Apple Music و Photo stream (19) وربما تنتقل إلى هاتفك الجديد عبر خدمة التخزين السحابي.

- احتفظ بجهازك المصاب دليلا من أجل التحليل.

- أبق جهازك المصاب بعيدا عن بيئة عملك حتى لا تعرض محيطك ومصادرك للخطر.

وإعادة تشغيل الجهاز بانتظام بإمكانه إيقاف برنامج التجسس عن العمل في الخلفية مؤقتا.

- أزل الأجهزة غير المعروفة المتصلة بحسابات التواصل الاجتماعي وتطبيقات المراسلة الخاصة بك. بإمكانك فعل ذلك من إعدادات الأمان.

- سجل خروجك من كل حسابات التطبيقات على الجهاز المصاب (البريد الإلكتروني، واتساب، سيغنال، تويتر، لاين، فيسبوك، وغيرها)، وتابع كلمات السر المستخدمة في هذه الحسابات. أعد ضبط كلمات السر في كل الحسابات من على جهازك الجديد باستخدام تطبيقات إدارة كلمات السر، ولا تستخدم أبدا كلمات سر قديمة.

- استشر خبير أمن رقمي لمساعدتك في إعادة إنشاء حساب رقمي آمن. إن كنت صحفيا حرا أو لا تستطيع الوصول إلى دعم تقني، تواصل مع خط المساعدة (20) في منظمة Access Now .

احرص دائماً على تحديث نظام التشغيل والتطبيقات الموجودة على جهازك: تعمد الشركات المصنعة للهواتف باستمرار على إصلاح الأخطاء والعيوب الأمنية التي يمكن أن يستغلها المخترقون وبرامج التجسس.

- إن لم يكن استبدال الجهاز ممكنا، أعد ضبط الجهاز إلى إعدادات المصنع. فعل ذلك

- تواصل مع خبراء تقنية المعلومات في مشروع بيغاسوس لتتحقق من إن كان

رقمك من بين الأرقام الخمسين ألفا المسربة عبر إرسال رقم هاتفك إلى عنوان البريد الإلكتروني Share@amnesty. tech ليتم التحقق منه، وكذلك للحصول على مساعدة تقنية في كيفية استخدام عدة أدوات التحقق من الهاتف المحمول (21) والتي تستخدم للكشف عن الهواتف المصابة بيغاسوس.

واجهت شركة NSO الإسرائيلية المنتجة لبرنامج بيغاسوس حركة احتجاج عالمية قادتها شركة واتساب في وقت سابق (تصوير: غيتي).

الضرر الواقع على الصحافة

أثارت تسريبات بيغاسوس مخاوف حقيقية بين المدافعين عن حقوق الإنسان (22) والصحفيين حول مخاطر تكنولوجيا المراقبة ومستقبل الصحافة الحرة وحرية التعبير وسلامة الصحفيين والحق في الخصوصية.

لن تتوانى الحكومات القمعية عن استغلال برامج التجسس المعقدة التي ترقى لمستوى الأسلحة ضد شعوبها خلف دعاوى الأمن الوطني.

وفي ظل غياب لوائح منظمة مناسبة تضبط بيع ونقل واستخدام تكنولوجيا المراقبة دون روادع وعقوبات تمنع الحكومات والشركات من إساءة استخدام مثل هذه التكنولوجيا، ستكون حقوق الإنسان الأساسية مثل حرية التعبير والحق في الخصوصية وحرية الصحافة في مرمى الخطر والتهديد.

صرحت (23) مفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان ميشيل باشيليت بعد الإعلان عن اكتشافات مشروع بيغاسوس قائلة: "ارتبط استخدام برمجيات المراقبة باعتقال وترهيب وحتى قتل الصحفيين والمدافعين عن حقوق الإنسان. وحتى التقارير التي تكشف عن وسائل المراقبة هذه تستحث في نفوس الناس أثرا بغيضا يدفعهم لفرض الرقابة على أنفسهم. إحدى الخطوات

الأساسية في منع إساءة استخدام تكنولوجيا المراقبة هي الضغط على الحكومات لفرض قوانين على الشركات المنخرطة في إنتاج هذه التكنولوجيا لدفعها للالتزام بمسؤولياتها تجاه حقوق الإنسان، وأن تكون أكثر شفافية بشأن تصميم واستخدام منتجاتها، وأن تطبق وسائل محاسبة أكثر فاعلية".

أخبر عدد من الصحفيين الذين استُهدِفوا عن طريق بيغاسوس موقع The Wire بأنهم يخشون من تأثير هذا الأمر على قدرتهم على نيل ثقة مصادرهم (24). وأفاد أحدهم "بأن ذيوع خبر استهدافه قد يثني مصادره عن التواصل معه في المستقبل".

وقد دعت مفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان ميشيل باشيليت ومنظمة العفو الدولية إلى وقف استخدام وبيع الأسلحة السيبرانية، لكن حتى ذلك الوقت ربما علينا تقليل الاعتماد على التكنولوجيا في العمل الصحفي وألا نصطحب أجهزتنا معنا أثناء تأديتنا لمهامنا.

مصادر مفيدة:

خط المساعدة الرقمي لمنظمة Access Now يساعدك في تشخيص مشكلتك ويقدم لك نصائح تقنية مفيدة بتسع لغات (25).

يقدم Digital First Aid Kit نصائح حول الأجهزة التي تسلك سلوكا مثيراً للريبة (26)، وكذا يفعل موقع Surveillance Self-Defence(27).

الخطير في برامج التجسس أنها تباع للأنظمة المستبدة وتستخدم في مطاردة الصحفيين واغتيالهم (تصوير: كارلوس جارسيا رولينز - رويترز).

المصادر:

1-https://www.aljazeera.com/news/2021/7/18/malware-targets-journalists-activists-and-lawyers-media-reports
2-https://www.documentcloud.org/documents/4599753-NSO-Pegasus.html
3-https://www.washingtonpost.com/investigations/interactive/2021/jamal-khashoggi-wife-fiancee-cellphone-hack/
4-https://www.nsogroup.com/governance/human-rights-policy/
5-https://www.aljazeera.com/news/2016/8/26/us-apple-issues-update-after-security-flaws-laid-bare
6-https://www.theguardian.com/world/2020/apr/29/whatsapp-israeli-firm-deeply-involved-in-hacking-our-users
7-https://guardianlv.com/2013/12/nsa-project-dropout-jeep-hacked-into-apple-iphones/
8-https://www.forbes.com/sites/erikkain/2013/12/30/the-nsa-reportedly-has-total-access-to-your-iphone/?sh=9db1c372ad1e
9-https://www.sun-denshi.co.jp/eng/company/abroad/
10-https://www.aljazeera.com/economy/2021/7/15/citizen-lab-spyware-by-israels-candiru-used-to-target-activists
11- https://bit.ly/3gTS6qb
12-https://www.theverge.com/22311182/best-free-password-manager-bitwarden-zoho-vault-roboform-sticky-password
13-https://www.amnesty.org/en/latest/research/2021/07/forensic-methodology-report-how-to-catch-nso-groups-pegasus/
14- https://urlex.org/
15- https://www.expandurl.net/
16-https://cpj.org/2019/11/cpj-safety-advisory-journalist-targets-of-pegasus/#guidance
17-https://theintercept.com/2021/07/27/pegasus-nso-spyware-security/
18-https://theintercept.com/2021/07/27/pegasus-nso-spyware-security/
19-https://www.amnesty.org/en/latest/research/2021/07/forensic-methodology-report-how-to-catch-nso-groups-pegasus/
20- https://www.accessnow.org/help
21- https://github.com/mvt-project/mvt
22-https://www.thenewsminute.com/article/extremely-alarming-un-high-commissioner-human-rights-pegasus-reports-152637
23-https://news.un.org/en/story/2021/07/1096142
24-https://thewire.in/media/pegasus-global-weapo n-silencing-journalists-cyber-surveillance-spyware
25-https://www.accessnow.org/help/
26-https://digitalfirstaid.org/en/topics/device-acting-suspiciously/
27-https://ssd.eff.org/en/playlist/privacy-breakdown-mobile-phones#mobile-phones-malware

الانتهاكات ضد الصحفيات.. «جرائم» مع سبق الإصرار

أميرة زهرة إيمولودان

التحرش داخل غرف التحرير، الاعتداءات الجسدية، التنمر الرقمي، التمييز.. تمثل جزءا يسيرا من أشكال التضييق على النساء الصحفيات. حسب بعض الدراسات فإن الآثار النفسية للتضييق تؤدي إلى تقويض الثقة بالصحفيات، بل ويجبر الكثير منهن للانسحاب بشكل نهائي من مهنة الصحافة.

كنّ عائدات إلى البيت بعد انتهاء الدوام، ثلاث (1) خريجات جديدات أعمارهن تتراوح بين 20 و25 عاماً، بدأن مشواراً في مؤسسة إعلامية محلية بجلال أباد، قبل أن تُنهي بضع رصاصات مجهولة كل شيء.

لم تتناول تقارير "مرسال وحيدي وسعدية السادات وشهناز روفي" أسماء ذوي النفوذ ولم يكن بصدد الكشف عن قضية فساد كبرى، كن فقط يقمن بدبلجة البرامج الأجنبية.

زميلتهن ملاله ميوند (26 عاماً) كانت قد لاقت نفس المصير قبلهن ببضعة أشهر (2)، بينما أعلنت القناة التي كانت تعمل فيها أنها لن توظف المزيد من النساء حتى يتحسن الوضع الأمني في البلاد. مثل هذه الأخبار تتكرر على اختلاف الأماكن والأسباب والجناة، وفي كل مرة تنخفض أصوات المنددين مع مرور الوقت، وتستمر الظاهرة. ولما كان التغيير عملية تراكمية، فإن أول ما يحفزه هو الإحاطة بالمشكلة وتقييم المعطيات.

ماذا يقول الواقع؟

هي "مهنة المتاعب" بالنسبة للذكور، أما عند الإناث فالمتاعب مضاعفة وأكثر تعقيدا. منظمات (3) حقوقية وإنسانية وعمالية ومئات التقارير والحوادث والشهادات تتحدث عن عنف جسدي ونفسي وجنسي يجعل أي أنثى تختار العمل في مجال الإعلام غير بعيدة عن شتى أنواع ودرجات الاستهداف المدفوع بالتحيز الجنساني. إنه استهداف

لا يرتبط بالضرورة بالقضايا التي تغطيها الصحفية أو بمدى تمكنها من إيصال القصة لشريحة كبيرة من الجمهور، ولكن أحياناً لمجرد أنها تتحدى أعرافاً مجتمعية لا تستسيغ رؤية "تاء التأنيث" في الشأن العام. هو مشهد تتداخل فيه كراهية النساء بالعنصرية والتعصب الديني والسياسي وغير ذلك من أشكال التمييز، وهو عنف يرتدي أحياناً ثوباً مؤسساتياً يُمارس على مرأى من العدسات، كما حدث مع مراسلة الجزيرة بفلسطين جيفارا البديري أثناء أدائها لواجبها المهني في حي الشيخ جراح.

الأسوأ من ذلك هو أن الخطر يمتد أحياناً إلى مقر العمل حيث يفترض أن تنعم الصحفيات ببيئة آمنة. فحسب تقرير (4) لمنظمة "مراسلون بلا حدود" جمع بيانات (5) من صحفيات في 112 دولة، فإن 84٪ من الإجابات أكدت أن التحرش الجنسي يؤثر على الصحفيات وأن أشكال العنف المختلفة مصدرها المديرون التنفيذيون حسب تقدير 51٪ من المشاركات في الاستطلاع، بينما رأت أخريات أن مصدرها زملاء المهنة (46٪) أو كيانات ذات سلطة (50 ٪) أو أطراف مجهولة (44٪) أو أطراف أجريت معهم مقابلات (35٪). كما وجد التقرير بأن الصحفيات المتخصصات في مجالات حقوق المرأة والرياضة والسياسة من بين الأكثر عرضة للعنف وأن عدد الصحفيات المحتجزات ارتفع (6) بما لا يقل عن 35٪ عام 2020 مقارنة بعام 2019.

عنف افتراضي لكنه حقيقي

"في المرة الأولى التي قيل لي فيها إنه يجب أن أموت موتاً بطيئاً ومؤلماً، كان ذلك بسبب كتابتي عن الممثلة كريستين ستيوارت عبر مدونة صغيرة على WordPress، ولم ترق لإحدى معجبات ستيوارت الطريقة التي حللت بها الصورة الفنية للنجمة"، تقول الكاتبة ومراسلة BuzzFeed News آن هيلين بيترسن (7).

أما الصحفية البرازيلية باتريشيا كامبوس ميلو (8) فدخلت حرباً محمومة إثر اشتغالها على سلسلة استقصائية حول

استهداف الصحفيات لا يرتبط بطبيعة القضايا التي يشتغلن عليها، بل لأنهن يتحدين أعرافاً مجتمعية مناهضة لعمل المرأة من الأساس
(تصوير: رويترز)

تورط الرئيس جايير بولسونارو ومناصريه في تمويل مخطط يهدف لتشويه معارضيه، لتتعرض بعدها إلى حملة تنمر وتهديدات على وسائل التواصل الاجتماعي وتضطر لمقاضاة الرئيس وابنه بسبب طعنهما في مصداقيتها ومهاجمتها بتصريحات مهينة.

لا يحتاج أحدنا سوى فتح أي منصة اجتماعية ليجد الخطاب الميزوجيني (الكراهية ضد النساء) يحاصر الإعلاميات لأبسط الدوافع: اتهامات وتهديدات وشخصنة ونعوت بذيئة وهجمات سيبرانية حوّلت الفضاء الافتراضي إلى خط المواجهة الجديد لهذه "الظاهرة العالمية" كما يصفها غيلهيرم كانيلا، (9) رئيس قسم حرية التعبير وسلامة الصحفيين في اليونسكو.

وأظهر تقرير (10) أُعدّ بتكليف من اليونسكو ونفذه المركز الدولي للصحفيين، أن 3 من كل 4 صحفيات جرى استطلاع آرائهن تعرضن للعنف عبر الإنترنت، وأن الصحفيات العربيات (11) ضمن الفئات الأكثر تعرضاً للعنف الرقمي، فيما صُنف فيسبوك الأقل أماناً من بين 5 تطبيقات هي الأكثر استخداماً من قبل المشاركات.

> **الآثار الجسدية والنفسية لمضايقة الصحفيات، عادة ما تمتد لتقوّض جودة العمل وثقة الجمهور في الصحافة الناقدة.**

انعكاسات تتجاوز الضحية

سواء آثرت الضحية الصمت أو المقاومة، تبقى المعركة ثقيلة ومن الصعب القول إن هناك دائماً خياراً صحيحاً وآخر خاطئاً فيها. لكن الأكيد أن الآثار الجسدية والنفسية المباشرة على الصحفيات، عادة ما تمتد لتقوّض جودة العمل وثقة الجمهور في الصحافة الناقدة، ناهيك عن تراجع فرص التوظيف وإحباط أي مساع لتحقيق التوازن بين الجنسين في المشهد الإعلامي، ودفع النساء إلى الانسحاب (12) من الخطوط الأمامية والمحادثات العامة لا سيما إذا تقاطع التحيز الجنساني مع حالات الاستقطاب السياسي وانتشار

رجال أفغان يصلون بالقرب من نعش الصحفية مالالاي مايواند التي قُتلت برصاص مسلحين مجهولين في جلال آباد العام 2020 (تصوير: رويترز).

المعلومات المضللة وتحول إلى حملات استهداف منظمة على مستويات أعلى.

هذا ما تؤكده نتائج استبيان منظمة "مراسلون بلا حدود"، التي أوضحت أن العنف القائم على نوع الجنس يدفع الصحفيات إلى إغلاق حساباتهن على منصات التواصل الاجتماعي إما مؤقتاً أو بشكل دائم بنسبة 43٪، وإلى ممارسة الرقابة الذاتية بنسبة 48٪، وتغيير التخصص بنسبة 21٪، عدا عن أنه يسبب حالة من الخوف من فقدان الوظيفة (54٪) والخوف على الحياة (49٪).

«مراسلون بلا حدود» جمعت بيانات من صحفيات ينتمين لـ 112 دولة، قال 84 منهن إن التحرش الجنسي يؤثر على الصحفيات وإن أشكال العنف المختلفة مصدرها المديرون التنفيذيون.

قراءة في بعض التوصيات

تكشف الدراسات أن الاعتداءات الجسدية على الصحفيات كثيراً ما تسبقها تهديدات عبر الإنترنت أو هجمات سيبرانية، لذلك تشدد التوصيات على أخذ أي تهديد على محمل الجد.

اللجوء إلى منظمات ومنصات موثوقة توفر المساعدة عبر نشر توجيهات (13) أو توفير فرص لبناء شبكة علاقات ومشاركة الخبرات قد يفتح آفاقا كثيرة.

الرابطة الدولية (14) للمرأة في الإذاعة والتلفزيون تدعو الصحفيات للتصرف دوماً بثقة وفخر بدورهن المهني والتحدث لأشخاص موثوقين في حال التعرض لأي مضايقات مع الاحتفاظ بسجل مكتوب يتضمن أكبر قدر من التفاصيل والأدلة.

أما خلال التغطيات الميدانية، فبالإضافة إلى الالتزام بالإرشادات العامة التي تهم الصحفيين من الجنسين، تنصح الرابطة بتخيل قائمة من المخاطر المحتملة ذات البعد الجنساني والتفكير المسبق في الاستجابات الأنسب مع الحرص على تعلم مهارات الدفاع عن النفس إن أمكن. زيادة على ذلك، تدعو إلى تجنب لفت الانتباه وعدم ارتداء أية مجوهرات واصطحاب زميل أو مرافق ذكر مع الحرص الشديد على عدم مشاركة أية معلومات شخصية أو تفاصيل عن التحركات.

الاطلاع على تقاليد البلد وقواعد اللباس والالتزام بالقوانين المحلية أمر ضروري، كما أنه أحياناً يتعين مراعاة المناخ السياسي والاجتماعي. فالصحفيات المحجبات مثلاً يجب أن يكنّ على دراية بالمناطق التي تنتشر فيها ظاهرة الإسلاموفوبيا أو التوجهات اليمينية المتطرفة خاصة إذا واكبت هذه المعطيات تطورات حديثة ذات صلة.

من جهة أخرى، فإن المؤسسات ملزمة بحماية موظفيها الدائمين والمستقلين حتى لا يقع ثقل الرد والوقاية على الهدف فقط. من أجل هذه الغاية، فعلى المؤسسات توفير وسائل السلامة الجسدية والدعم النفسي والقانوني والمشورة والتدريب، بإضافة إلى التوعية بمظاهر التحيز الجنساني وإيجاد آليات إدارية للتعامل معه بشكل جدي وشفاف.

في هذا السياق، سيكون من الضروري العمل على إرساء بيئة آمنة لكسر الصمت والإبلاغ، مع الحرص على محاربة بعض التصورات النمطية التي تلقي عبئاً على الضحية كالقول بأن الصحفيات بحاجة إلى التحلي بقوة ومرونة أكبر وبأن هذه الانتهاكات ضريبة مهنية متوقعة أو مقبولة.

وأخيراً، فإن الاكتفاء بالحظر والإبلاغ وحذف المضايقات الرقمية قد يكون في بعض الأحيان مجرد ضمادة موضعية أو مرهم يؤخر معالجة المشكلة بشكل جذري. شركات التكنولوجيا يجب أن تتحمل مسؤولية أكبر في تطوير آليات استجابة أفضل وتقييد المحتوى الذي يحرض ضد الصحفيات.

شركات التكنولوجيا يجب أن تتحمل مسؤولية أكبر في تطوير آليات استجابة أفضل وتقييد المحتوى الذي يحرض ضد الصحفيات.

العنف الافتراضي صار من أخطر المضايقات التي تواجهها الصحفيات
(تصوير: شترستوك).

المراجع:

1-https://www.nytimes.com/2021/03/02/world/asia/afghanistan-women-journalists-killed.html

2-https://cpj.org/2020/12/journalist-malalai-maiwand-shot-dead-in-afghanistan/

3-https://www.hrw.org/news/2021/04/01/afghanistan-taliban-target-journalists-women-media

4- https://rsf.org/ar/news/-323

5-https://rsf.org/sites/default/files/le_journalisme_face_au_sexisme.pdf

6- https://rsf.org/ar/news/-304

7-https://www.cjr.org/special_report/reporting-female-harassment-journalism.php

8- https://cpj.org/awards/patricia-campos-mello-brazil/

9-https://www.aljazeera.com/news/2021/4/30/female-journalists-facing-growing-online-attacks-unesco

10-https://www.icfj.org/our-work/icfj-unesco-global-study-online-violence-against-women-journalists

11-https://en.unesco.org/sites/default/files/the-chilling.pdf

12-https://www.aa.com.tr/en/asia-pacific/killing-spree-forces-women-afghan-journalists-to-quit/2169045

13-https://cpj.org/2019/09/physical-safety-mitigating-sexual-violence/

14-https://aijc.com.ph/wp-content/uploads/2020/09/IAWRT-SAFETY-HANDBOOK-FOR-WOMEN.pdf

«438 يوما».. من التحقيق في فساد شركات النفط إلى «سجن شيراتون»

عبد اللطيف حاج محمد

صحفيان سويديان يقرران التحقيق حول تأثير تنقيب الشركات الكبرى عن النفط على السكان المحليين شرق إثيوبيا، ثم يجدان أنفسهما في مواجهة «النيران» حينما قررا الدخول خفية من الحدود الصومالية. بأسلوب سردي، يحكي الصحفيان كيف عاشا في «سجن شيراتون» حيث يعيش السجناء السياسيون أبشع أنواع التنكيل بينما هيلاري كلينتون تمتدح غير بعيد من السجن الرئيس الإثيوبي.

تدور أحداث كتاب "438 يوما" حول رحلة الصحفيين مارتن شيبي (مصور) ويوهان بيرسون (صحفي تحقيقات استقصائية)، وسعيهما للكشف عن كيفية تأثير تنقيب الشركات الكبرى عن النفط على السكان المحليين في إقليم أوغادين شرق إثيوبيا. في قلب هذه "المغامرة" الصحفية، كانت شركة ليدن أويل (Lundin Oil) السويدية، حيث جلس وزير الخارجية آنذاك كارل بيلت في مجلس الإدارة.

يروي مارتن شيبيا ويوهان بيرسون القصة بأكملها بأنفسهما.

كانا يعرفان أن المهمة خطيرة، ووعد الصحفي مارتن شيبي زوجته لينيا بالانسحاب من المشروع إذا دفعه شعوره الغريزي للقيام بذلك. وعلى الرغم من ذلك، اجتاز هو والمصور يوهان بيرسون "نقطة اللاعودة"؛ الحدود بين الصومال وإثيوبيا، للتحدث مع السكان في المنطقة المغلقة حيث تريد شركات النفط متعددة الجنسيات العمل دون محاسبة، في ظل دعم نظام البلاد لهذه الرغبة.

باختصار، أراد مارتن شيبي ويوهان بيرسون ممارسة الصحافة الاستقصائية في منطقة كان الصحفيون قد مُنعوا في السابق من الوصول إليها. لذلك؛ دخلا المنطقة بشكل غير قانوني بمساعدة من الجبهة الوطنية لتحرير أوغادين التي هربتهما عبر الحدود من الصومال، والحال أن السلطات الإثيوبية صنفت هؤلاء المتمردين على أنهم "إرهابيون".

لم يؤمن الصحفيان بالالتزام بالطرق القانونية والرسمية، الأمر الذي يعني التقدم بطلب للحصول على تأشيرة، ومطالبة الحكومة الإثيوبية بالحصول على الإذن للقيام بإنجاز التقارير الصحفية. "من

غير المجدي طلب تأشيرة من نظام ما، لنتمكن من وصف إساءة استخدام النظام نفسه للسلطة ضد المدنيين".

وضع الصحفيان مارتن شيبي ويوهان بيرسون كل شيء على المحك أثناء عبورهما الحدود بين الصومال وإثيوبيا. بعد خمسة أيام من التنقل خفية، تم إطلاق النار عليهما في الصحراء وأُسِرا هناك من قبل الجيش الإثيوبي، بعيدا عن السفارة السويدية والرعاية الطبية. لم يعرفا ما إذا كانا سيعيشان أو يموتان؛ لقد تعرض مارتن شيبي للإعدام الوهمي، وانتزعت منهما اعترافات تحت التعذيب بأنهما "إرهابيان" دخلا البلاد بشكل غير قانوني وبمساعدة الجبهة الوطنية لتحرير أوغادين. بعد محاكمة هزلية، حُكم عليهما بالسجن 11 عاما في سجن كاليتي سيئ السمعة. أصبحت الحياة اليومية صراعا من أجل البقاء.

أجبر الصحفيان على الاعتماد على سفارة السويد، التي كانت تحت إدارة كارل بيلت، والذي جلس على كرسيين (وزارة الخارجية ومجلس إدارة شركة النفط). تصرفات بيلت، من بين قضايا أخرى، كانت محور مغامرة الصحفيين للاستقصاء حولها.

> **تدور أحداث كتاب «438 يوما» حول رحلة الصحفيين مارتن شيبي ويوهان بيرسون، وسعيهما للكشف عن كيفية تأثير تنقيب الشركات الكبرى عن النفط على السكان المحليين في إقليم أوغادين شرق إثيوبيا.**

قصة مخيفة في سجن "شيراتون"

في السجن، قابل الصحفيان أطفال الشوارع، ومهربي المخدرات الذين تحركهم الرياح من أجزاء مختلفة من إفريقيا، وأحيانا من أوروبا أيضا. التقيا بالعديد من سجناء الرأي والعديد من السياسيين والصحفيين المعارضين الذين سجنوا لانتقادهم النخبة الحاكمة.

ينظر بيرسون وشيبي إلى النظام العالمي من قبو هذا الجحيم. في سجن كاليتي سيئ السمعة، يرقد السجناء مكتظين بإحكام على الأرضية الحجرية؛ في حظائر من الصفيح، عليهم أن يخطوا فوق بعضهم البعض للوصول إلى المرحاض ليتمكنوا من إفراغ

الصحفيان السويديان كانا يحققان في تورط وزير الخارجية السويدي السابق في فساد شركات التنقيب عن النفط (تصوير: بيرتيل إريكسون - إ ب أ).

أمعائهم "الفائزة". يُسمح لهم برؤية الضوء والتنفس بحرية لبضع دقائق في اليوم.

كانا يراقبان آليات القهر في السجون، ثم يتأملان البؤس الجسدي؛ من الإسهال والحمى والذهان إلى الموت بلا حول ولا قوة. البطانيات تفوح منها رائحة القيء، والتلفزيون ينشر رسالة الديكتاتور.

يروي الصحفيان في نفس الكتاب: "علمنا أن الزنازين التي حُبسنا فيها كانت تسمى شيراتون؛ لأنه على الرغم من أنها كانت سيئة مع الأرضيات الخشبية الباردة والسجناء الذين يسعلون الدم، إلا أنه كان هناك مكان أسوأ؛ مكان يُحفظ فيه السجناء في ظلام دامس، معلقين رأسا على عقب، مع أوزان مرتبطة بأعضائهم التناسلية، يتعرضون للضرب حتى يعترفوا بجرائمهم الملفقة".

اجتاز الصحفيان الحدود بين الصومال وإثيوبيا، للتحدث مع السكان في المنطقة المغلقة حيث تريد شركات النفط متعددة الجنسيات العمل دون محاسبة، في ظل دعم نظام البلاد لهذه الرغبة.

الكتاب غني بالتفاصيل الدقيقة عن الاعتقال، والحياة في السجن، والنضال الذي لا يطاق أحيانا في المحكمة، تلك التفاصيل التي تتحدث عن الأوساخ، ورائحة القرف، والقمل، والمكائد، وبراعة إدارة السجن السادية بوضوح، ومصير النزلاء الآخرين. باختصار: سجناء يحرسون سجناء آخرين. ولتربية الأمل أنشآ مكتبة، ثم يحكيان عن كيفية مساومة حراس السجن، والرشاوى، للسماح لهما بإدخال الطعام السويدي "اللذيذ"(وفقا لجوهان بيرسون).

يدور الكتاب حول 438 يوما من الصداقة بين شخصيتين مختلفتين تماما: مارتن شيبي حاد لكنه رومانسي وعاطفي في نفس الوقت. وعلى العكس من ذلك فإن بيرسون هو الرجل الذي يغضب باستمرار وينفجر.

"ليس بعيدا، يعقد قادة العالم مؤتمرا في قاعة المؤتمرات الفاخرة في أديس أبابا. هيلاري كلينتون تشيد بالرئيس الإثيوبي"، بينما الصحفيان السويديان يمارسان تمارين الضغط ويلعبان الشطرنج ويبنيان أنموذجا للسفينة الملكية فاسا، ويزرعان خضروات ويبنيان مكتبة، ويحلمان بحفلات منتصف الصيف وأمسيات البيرة في جنوب ستوكهولم.

وسط هذا التناقض يكتب مارتن إلى لينا التي تعمل في الجمعية الاستهلاكية في السويد رسائل الحب وأحلامه للمستقبل. في مشهد قوي، يصف مارتن كيف يخفي ويحمي رسائله في عش الفئران.

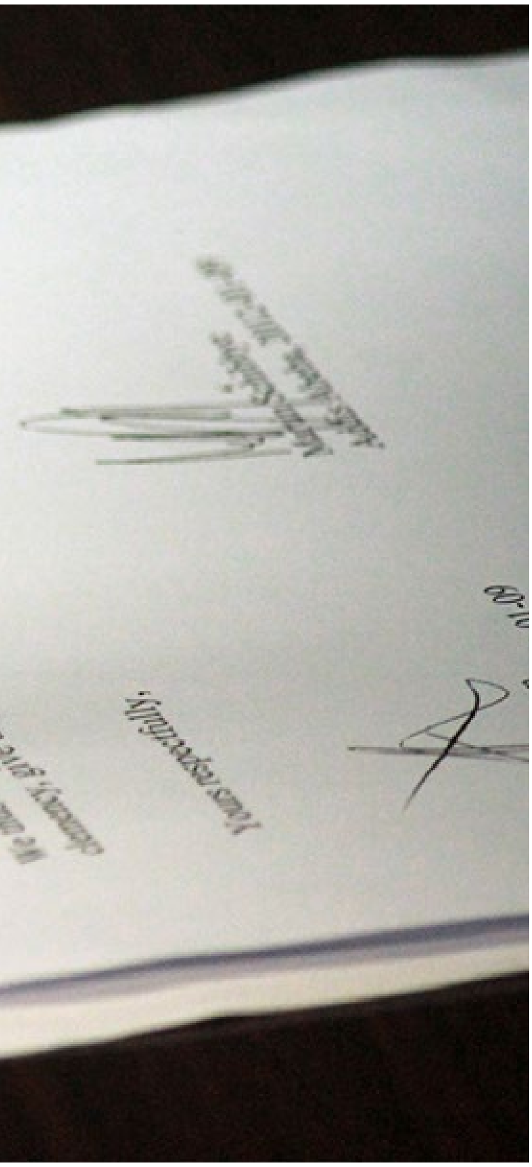

يتناوب شيبي وبيرسون على حكي متصل للقصة، والحقيقة أن صوتيهما يبدوان متشابهين جدا، وأن بيرسون يكتب في مكان ما أنه يعاني من عسر القراءة ولا يستطيع الكتابة، تجعلني أعتقد أن شيبي كان يجلس عادةً على لوحة المفاتيح. فنحن نقترب ونرى أيضًا كيف يواجهان أحيانا بعضهما البعض، وكيف يمكنهما إدراك المواقف بطرق مختلفة.

كسجناء، كانا يدونان باستمرار ملاحظات ويكتبان ما حدث، وقد أُجبرا على إخفاء الملاحظات، بمساعدة الأقارب وموظفي السفارة.

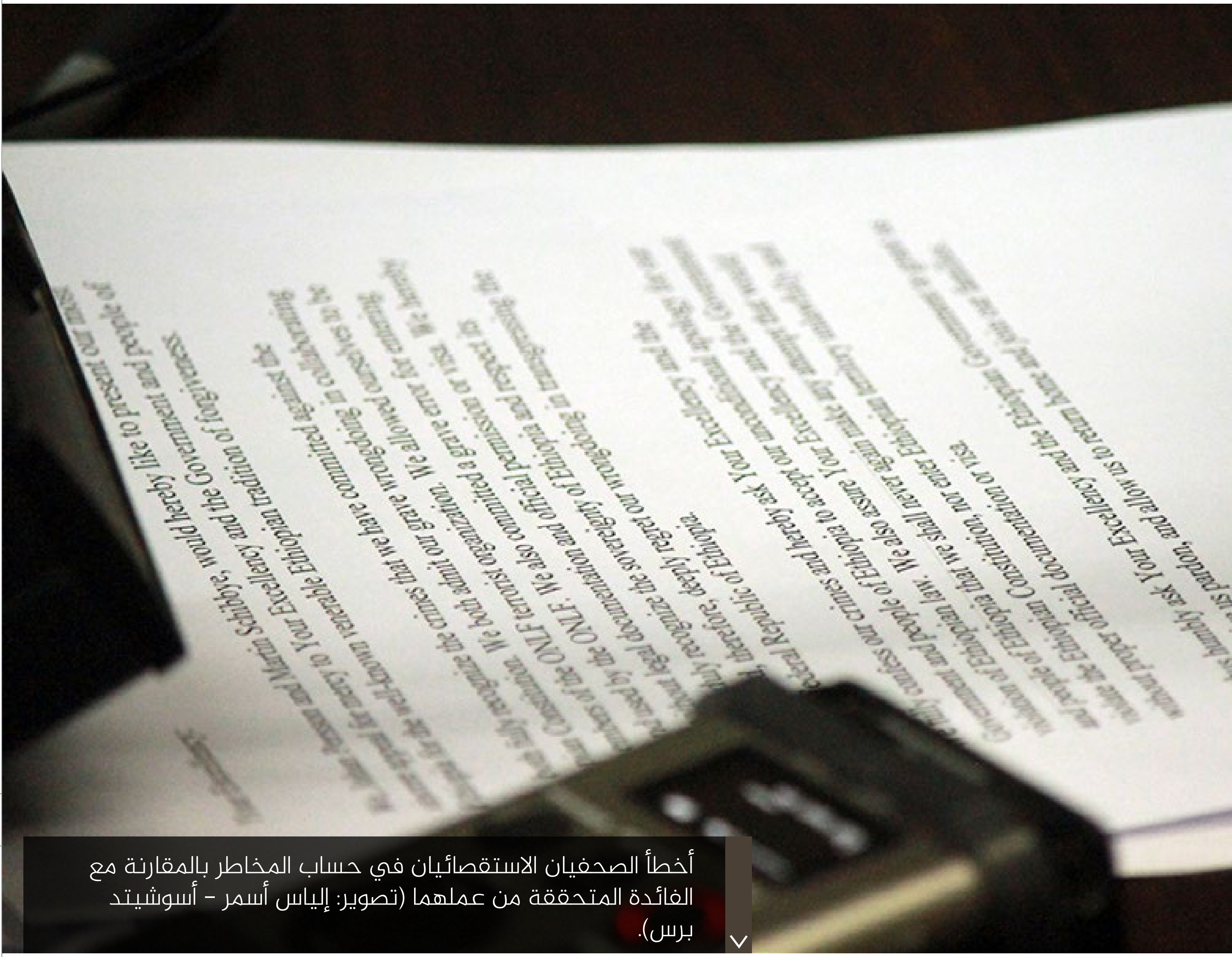

أخطأ الصحفيان الاستقصائيان في حساب المخاطر بالمقارنة مع الفائدة المتحققة من عملهما (تصوير: إلياس أسمر - أسوشيتد برس).

أفرج عن الصحفيين في العام 2012 بعد اعترافات قسرية مُسجلة، استُخدِمَت في الدعاية السياسية للحكومة الإثيوبية التي ادعت أنهما "إرهابيان" يشكلان خطرا على الأمن القومي.

يظهر يوهان ومارتن مدى أهمية الصحافة. يصفان في قصتهما كيف يعيش الناس في القرن الأفريقي، وكيف يواجهون ظروفا مختلفة عن السويد.

يمكن قراءة كتاب بيرسون وشيبي على أنه وصف لظروف

> **بعد خمسة أيام من التنقل خفية، تم إطلاق النار عليهما في الصحراء وأُسِرا هناك من قبل الجيش الإثيوبي، بعيدا عن السفارة السويدية والرعاية الطبية.**

الصحافة الأجنبية ومخاطرها، حول التحضير والتخطيط الدقيق: يجب أن تكون الأحذية عملية، وبطاقات الذاكرة فارغة، زجاجات المياه الصالح للشرب، ومن ثم يجب تحديد جهات الاتصال، والمصادر الموثوقة، ورسم خارطة الطريق، وطريق الهروب.

يجب، أيضا، قياس حسابات المخاطر مقابل أهمية المهمة. أراد المؤلفان رسم خريطة استغلال شركات النفط، في واحدة من أخطر مناطق النزاع في العالم؛ في المنطقة الحدودية بين الصومال وإثيوبيا؛ في أوغادين. إنها مهمة كبيرة، تتعلق بكل من سياسات القوة والاستعمار الجديد وحريات

الإنسان وحقوقه. كان لحساب المخاطر هوامش واسعة للغاية، ببساطة لم تصمد.

"إنها مهمة صحفية كبيرة، تتعلق بكل من سياسات القوة والاستعمار الجديد وحريات الإنسان وحقوقه. كان لحساب المخاطر هوامش واسعة للغاية، ببساطة لم تصمد."

يجب ألا ننسى، كما يكتب المؤلفان، زملاءهم السجناء في كاليتي، ولا ندع الذكرى تمحو حكم الزعيم ميليس زيناوي ولا ندع رؤساء شركة النفط لونديين وأدواتهم كارل بيلدت، وزير الخارجية السويدي السابق، يهربون من الذنب لتدمير الأرض والحياة، التي كانت في يوم من الأيام ملكا لشعب أوغادين. يصور بيرسون وشيبي، بطريقة رائعة للغاية، كذلك، البعد الوجودي العميق للبقاء: كيف تتحمل الانحدار إلى الجحيم؟ كيف يمكن للتضامن البشري أن يصمد أمام الظلم والمرض والآمال المحطمة؟ كيف يمكن للمرء، في مواجهة التهديدات بالسجن 11 عاما والموت المؤكد، أن يظل إنسانا؟

أبحث عن ملخص للرسالة المركزية في كتاب يوهان بيرسون ومارتن شيبي الفريد، وأجده عند الكاتب ميلان كونديرا الذي كتب: " إن صراع الإنسان ضد السلطة هو صراع الذاكرة ضد النسيان".

ما زال يتبرع بيرسون وشيبي بعشر كرونات، عن كتاب يتم بيعه لجمعية مؤسسة كاليتي غير الربحية، والتي تقدم الدعم المالي للصحفيين والمصورين في جميع أنحاء العالم الذين يُسجَنون أو يُضطهدون أو يُجبرون على النفي أو المعاناة نتيجة لممارساتهم المهنية.

سمح اعتقال الصحفيين في معرفة الظروف المأساوية التي يعيشها الناس في أفريقيا (تصوير: رويترز).

أطلق سراح الصحفيين بعد انتزاع اعترافات قسرية باشتغالهما لصالح منظمات «إرهابية» (تصوير: أندرس ويكلوند - رويترز).

حينما يغتال «حماة الفساد» الصحافة المحلية

غابي بيغوري / ترجمة: بهاء الدين السيوف

في بلد شاسع مثل الأرجنتين، تصبح أهمية الصحافة المحلية في توفير الحق في المعلومة حيوية، لكن الشركات الكبرى والسلطة الحكومية تريد أن يبقى جزء كبير من السكان رهائن الرواية الرسمية الصادرة عن الإعلام المركزي.

من مقاطعة خوخوي في أقصى شمال البلاد تُشغّل الراديو، وتستمع إلى أنباء من قلب العاصمة "بوينوس آيرس" عن قطع الطريق السريع الذي يربط بلدان القارتين الأمريكيتين. هذا ما تفعله الأغلبية العظمى من سكان الأرجنتين؛ فمعرفة ما يجري على بعد آلاف الأميال أسهل بكثير من معرفة ما يدور بجانب منزلك.

منتدى الصحافة الأرجنتينية، وهو منظمة غير حكومية تُعنى بتعزيز جودة الصحافة، حذر من هذه الظاهرة التي باتت تشكل الطابع العام للنشاط الإعلامي في البلاد، والتي بدأت تُجرى حولها دراسات عديدة عبر العالم. في تقرير صدر مؤخرا، لاحظت المنظمة أن هناك صحارى أو شبه صحارٍ إعلامية تتمدد على ثلاثة أرباع التراب الأرجنتيني، ما يعني غياب وسائل الإعلام المهتمة بنقل الأنباء المحلية لسكان تلك المناطق. بمعنى آخر، فإن حقيقة أوضاع المواطنين وواقعهم المعيش غير مرئية ولا مسموعة في مناطقهم المحلية، ومن ثمّ فهم مُغيّبون تماما عن الكثير من الحقائق؛ من ارتفاع أسعار السلع الغذائية، إلى أسباب انقطاع التيار الكهربائي، وحتى تفشي قضايا الفساد الذي يشمل كل البلاد.

التقرير يتناول المسألة بتوصيفات تكثر فيها الاستعارات البلاغية؛ إذ يربط النشاط الصحفي بالنظم البيئية للطبيعة، ويشبه طرفَيْ المسألة بالغابات (تلك المناطق التي تغلي فيها الأنباء الرسمية) وبالصحارى (تلك المناطق التي تكون فيها ظروف ممارسة العمل الصحفي سيئة للغاية).

يُفصّل التقرير: "نتحدث عن الغطاء النباتي والنُّظُم البيئية للإعلام؛ فالمناطق التي تتوفر فيها ظروف مواتية لممارسة النشاط الصحفي تبدو كالغابات؛ إذ يمكن أن تجد الضوء والظلال

يطلق على قتل الصحافة المحلية في الأرجنتين بزيادة مساحة «الصحارى الإعلامية» (تصوير: إنريكي ماركاريان - رويترز).

والفوارق الدقيقة بين الأشياء، وتنوعها، والأوكسجين كذلك، أما في الطرف الآخر، حيث تكون ظروف ممارسة الصحافة سيئة وضعيفة، فإن تلك المناطق تبدو مثل الصحارى؛ إذ تكون المشاهد كلها أحادية اللون، وجافة، ومثيرة لظاهرة السراب".

تتعدد أسباب هذه الإشكالية وتختلف من منطقة إلى أخرى. أما الصحفيون فيوجهون توصياتهم إلى الطلاب باجتراح المواضيع والقضايا المحلية التي تهم سكان مناطقهم، كما يوجهونها إلى السكان بدعم المشاريع الصحفية الصغيرة وتشجيعها.

"تتيح الصحافة المحلية معلومات تساعد على اتخاذ قرارات صائبة وذكية، بدءا بمن يستحق أن نصوّت لهم في الانتخابات، وانتهاء بكيفية تقييم الإدارات الحاكمة."

التحدي كبير.. والتكنولوجيا طوق نجاة

الصحفية المعروفة في مجال الصحافة الاستقصائية، إيريني بينيتو، كانت قد شكّلت فريقا من 27 صحفيا دأب على العمل في مختلف المقاطعات الأرجنتينية. حاولت إيريني التركيز على جوهر التقرير: لماذا من المهم أن توجد وسائل إعلام محلية؟ لأنها تُبرز معلومات وحقائق ذات أهمية بالغة، تهتم بجودة المعيشة بالنسبة لسكان المناطق موضوع التحري. هذه المعلومات تتيح للمواطنين اتخاذ قرارات صائبة وذكية في قضاياهم كافة، بدءا بمن يستحق أن نصوّت لهم في الانتخابات، وانتهاء بكيفية تقييم الإدارات الحاكمة. وحدها الصحافة المحلية المهنية تستطيع فضح ممارسات السلطة، وإطلاع

الجمهور على كل القضايا التي ترغب السلطات في إبقائها طيّ الكتمان. أخيرا، فإن الصحافة المحلية، كما تقول بينيتو، هي جوهر الممارسة الصحفية المهنية.

"المواطنون في الأقاليم البعيدة ليس لهم أي حضور في وسائل الإعلام المحلية. إن الأنباء التي يجري تداولها على نطاق واسع في البلاد لا تصدر سوى عن المركز."

من أبرز الأسئلة التي يثيرها هذا الموضوع: ما تأثير الجغرافيا على وجود صحافة محلية في بلد كبير المساحة (2,78 مليون كيلومتر مربع)؟ هل يؤثر القرب أو البعد عن وسط البلاد في ذلك؟

"أجل"، تجيب المتخصصة في الصحافة المحلية إيريني بينيتو، "لكن الدراسة تظهر أنه ليس ثمة ارتباط مباشر بين التقدم والتنمية الاقتصادية وبين وجود وسائل إعلام محلية. هناك صحارى إعلامية في مناطق كانت قد استقبلت استثمارات كبرى في الآونة الأخيرة، كما هو الحال في أنيلو (نيوكين)؛ البلدة التي تضم احتياطي البلاد من الهيدروكاربون، والمسماة بـ(باكا مويرتا)؛ ذلك أن انتشار وسائل الإعلام يتطلب عددا كبيرا من الشروط؛ كتوفر مستوى معين من التعليم في المنطقة، ومستوى مناسب من الصحفيين ومن الجماهير كذلك، إضافة إلى مناخ ملائم لحريات التعبير".

توضح بينيتو أنه كي يتحسن موقف الصحافة في البلاد فإن هناك ما ينبغي فعله؛ أن يدرك المواطنون الأخطار التي تحيق بالصحافة المحلية، وأن "يدعموا ويدافعوا" عن وسائل

ازدادت أهمية الصحافة المحلية أمام سيطرة السلطة ورجال الأعمال على وسائل الإعلام الكبرى (تصوير: مارتن أكوستا - رويترز).

الإعلام وعن الصحفيين العاملين في بلداتهم ومناطقهم، وثمة العديد من الخطوات والوسائل للقيام بذلك؛ كأن نتابع هؤلاء الصحفيين ونشترك في قنواتهم ووسائل الإعلام التي يعملون فيها، وأن ننشر إعلاناتنا في تلك المنصات الرقمية.
وتخلص بينيتو إلى أن التحدي القائم أمام الصحفيين تحدّ جسيم: "إن التكنولوجيا في صالحنا، يجب تعلم كيفية استخدام الأدوات والمنصات المختلفة، وينبغي علينا اكتساب مفاهيم إدارة المؤسسات؛ لأنه من غير الممكن أن تُمارس صحافة مهنية بعيدا عن هذه المعارف التكنولوجية".

قد تكون سببا في تشكّل الصحارى الإعلامية". إن الهدف من المشروع هو توفير بيانات كافية للإحاطة بهذا التهديد الكبير الذي يواجه الصحافة المحلية في الأرجنتين، وكذلك للتحفيز على صده ومواجهته، لسنا نكتفي بأسباب اختفاء هذه الوسائل الإعلامية، وإنما ينبغي العمل على الحيلولة دون انقراضها، وقد استطلعت آراء 13 ألف صحفي في كل أنحاء البلاد الوصول إلى نتائج أقرب إلى الدقة".

نسخة مكررة من بلاغات رسمية؛ فهي لا تتناول الخبر بنظرة الناقد مثلا، ولا تلجأ حتى إلى مقارنة البيانات الرسمية بالمصادر الأخرى. الأنباء هنا ليست مادة للتحرّي، بل توجيهات في صالح السلطة في غالب الأحيان".

> **الصحافة المحلية المهنية تستطيع فضح ممارسات السلطة، وإطلاع الجمهور على كل القضايا التي ترغب السلطات في إبقائها طيّ الكتمان.**

كي نتجنب انقراض الصحافة المحلية

أُعِدّ التقرير الذي تحدثنا عنه سابقا عبر دراسة استقصائية شاركت فيها 2464 وسيلة إعلامية في البلاد. تُفصّل بينيتو أكثر حول هذا الموضوع: "الاستبيان تم تدعيمه بتحليل سابق لمجموعة من التحقيقات حول الصحارى الإعلامية، والتي أجريت في بلدان كانت فيها دراسة الظاهرة وتعريفها أكثر تقدما؛ مثل البرازيل وفنزويلا وكولومبيا والمكسيك وكندا والولايات المتحدة الأمريكية".
ترى الصحفية أن شروط ممارسة العمل الصحفي معقدة؛ لذلك "فإن التحقيق يسلط الضوء على الظروف والآثار التي

مواطنون خارج دائرة الضوء

المؤرخة ناتالي بوياتي، التي تعمل في "إنتري ريوس"، إحدى مقاطعات الشمال الأرجنتيني، شاركت بصفتها محققة في المشروع، وتنبّهت إلى ضرورة إجراء مقارنة بين سلبية وسائل الإعلام ولا مبالاتها، وبين صعوبات العمل الصحفي في الإقليم، في محاولة للتعمق في المشكلات والأسباب الكامنة وراء اختفاء وسائل الإعلام المحلية هناك.

تقول بأسف: "هؤلاء المواطنون ليس لهم أي حضور في وسائل الإعلام المحلية، إن الأنباء التي يجري تداولها على نطاق واسع في البلاد لا تصدر عن وسائل الإعلام هذه".

وتوضح بوياتي أن وسائل الإعلام "تدّعي صناعة محتواها الخاص، بينما هي ليست سوى

ألفريدو فيرنانديز، صحفي وأستاذ جامعي في جامعة "باتاغونيا أوسترال دي لا كروز" الوطنية التي توجد في أقصى جنوب البلاد، يدافع عن وجهة نظر مختلفة. يقول إن الإعلام المحلي مفيد جدا للسلطات الحكومية ولأصحاب الشركات؛ "إذا لم نعرف ما الذي يجري في المناطق المحلية، فإنه من الصعب صياغة سياسات تخدم مصلحة هذه المجتمعات، ووسائل الإعلام المحلية لا تغطي مجريات الأمور بما يكفي في تلك المناطق".

يوضح فيرنانديز أن القنوات التلفزيونية الأكثر متابعة في منطقته هي قنوات وطنية كبرى، أما القنوات المحلية فلا تبث سوى لبضع ساعات. ويرى أن "تفشّي" الاعتماد على

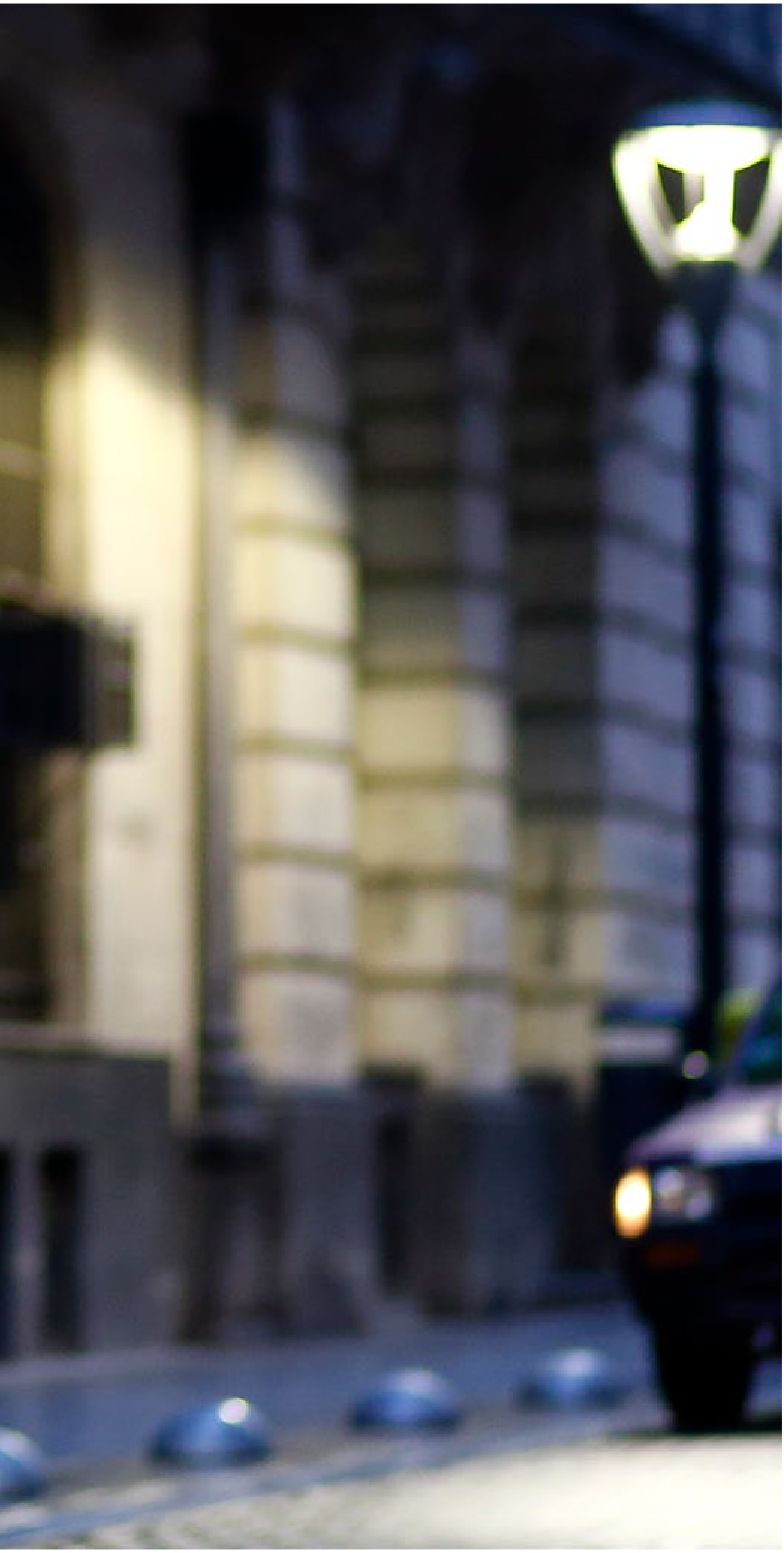

الرواية الرسمية بين وسائل الإعلام من أجل الربح، إلى جانب الوضع الاقتصادي الصعب، هما من أهم محددات الإنتاج الإعلامي".

وتستند رؤية فيرنانديز إلى أن ثمة نقصا فادحا في أعداد الصحفيين المتخصصين في مختلف وسائل الإعلام؛ فالمناصب الوظيفية مليئة بأشخاص جيدين، لكنهم لم يتلقوا تأهيلا أو تدريبا متخصصا".

يعتبر فيرنانديز التأهيل الوظيفي عنصرا أساسيا، ويوصي مَن على مقاعد الدراسة في الجامعة قائلا: "نشجع الطلاب على إجراء التحديث المهني الذي من شأنه أن يُكسب الدارسين مزيدا من المعارف والعلوم، ثم لا بد من غرس قيمة الاستقلالية الفكرية، وعدم الانصياع لرؤساء التحرير".

في المنظمات المعنية بالعمل الصحفي والجامعات التي تُدرّس الصحافة، دُقّت نواقيس الخطر إيذانا ببدء تحركات فعلية من شأنها تجنب أن يتطور تصحر الإعلام المحلي أو أن يصل إلى مرحلة الانقراض التام.

المصادر:

1- https://desiertosinformativos.fopea.org

يمكن أن تلعب الصحافة المحلية دورا هاما في تقويض الرواية الرسمية للأحداث (تصوير: ماركوس بريندیشي - رويترز).

معهد الجزيـرة للإعلام
ALJAZEERA MEDIA INSTITUTE